محمد اللوزي

"أَلْفْ تْخْمِيمَة وْ تْخْمِيمَة وْ لَّا ضَرْبَة مْقَصْ"

أسئلة محرجة عن الختان



كتاب يتوجه **فقط** لمن تجاوز عمره **18 سنة** شمسية.

قد يتسبب محتواه في إحداث بعض المضاعفات الخطيرة، خصوصا عند المصابين بداء تقديس الأموات و الأحياء، أو عند أولئك الذين يغضون أبصارهم و عقولهم عن المعرفة بعلة الدين و الحياء. و به وجب الإعلام و التنبيه.

إلى عبد الله، ذكرا و أنثى ...

"أَلْفُ تَخْمِيمَة وَ تْخْمِيمَة وَ لَّا ضَرْبَةْ مْقَصْ"

أسئلة محرجة عن الختان

بقلم : محمد اللوزي

تصميم و اختيار الغلاف : المؤلف

رقم : 978 2 9528669 1 0

الإيداع القانوني : المكتبة الوطنية الفرنسية

الطبعة الأولى : 2014

Questions embarrassantes sur la Circoncision

Mohamed LOUIZI

Couverture : l'auteur

ISBN : 978 2 9528669 1 0

Dépôt légal : Bibliothèque Nationale de France

Première auto-édition 2014

Contact :

mohamedlouizi@hotmail.fr

URL :

http://mlouizi.unblog.fr



الخِتَانْ

أَلْبَسونِي بِرْدَة شَفَّافَةً

يَوْمَ الخِتَانْ.

ثمَ كَانْ

بَدْأ تَارِيخِ الهَوَانْ !

شَفَتِ البُرْدَة عَنْ سِرِّي

وَ فِي بِضْع ثَوَان

ذَبَحُوا سِرِّي

وَ سَالَ الدَّمُ فِي حِجْرِي

فَقَامَ الصَّوْتُ مِنْ كلِّ مَكَان

أَلفُ مَبْرُوك

وَ عُقْبَى لِلِّسَانْ !

أحمد مطر

المحتويات

كلمات قبل البدء ... ذكريات و اعتذار

كان عمري آنذاك لا يتجاوز الأربع سنوات، حين قام حجام مدينتنا البيضاء، بنقش حروف الختان الدموية الحمراء على جسدي النحيف، و سرقة غرلتي - باسم الله الأعظم - على حين غرة مني و في حضرة من أهلي و عشيرتي، الذين لا أحاسبهم و لا أعاتبهم اليوم على ذلك. فالوالدان العزيزان لم يختارا ختاني إلا لأنهما كانا يعتقدان يقينا بضرورته لديني و دنياي، تماما كضرورة التلقيح الوقائي و التطبيب عند الحاجة و الكسوة و التمدرس و التربية على الأخلاق الكريمة و تحبيب القراءة و إدمان الكتاب. لو علم الوالدان الكريمان في ذاك الزمان، ما سيأتي بيانه في مباحث هذا الكتاب، ما أقدما على ختاني أو وضعي بين يدي ذلك الرجل الغريب ذي المقص. فلولا تربيتهما و عنايتهما السليمة لي ولإخوتي و أخواتي، ما استطعت الاستمرار في السعي في دروب الحياة، و تحقيق بعض أهدافي فيها و ما استطعت كتابة سطر واحد من هذا البحث. فلهما مني خالص الحب مع خالص الدعاء : "**رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**".

أتذكر يومها كيف احتال علي ذاك الرجل الغريب الماكر، حين أمرني برفع عيني نحو سقف حانوته المعتم البئيس، و أوهمني أن عصفورا من فصيلة "الزَّوْشْ" - المعروفة في المغرب الأقصى - يحلق بجناحيه فوق رؤوسنا. رفعت رأسي إلى السماء بحثا عن العصفور، و أهلي قد أحكموا وثاقي بعد أن كشفوا عن ساقي و عورتي أمام الغريب. لم أجد العصفور، لم أره يحلق سعيدا فوق الرؤوس المنحنية القلقة الكئيبة، لكني أحسست بألم القطع في حجري، بألم صاعد عبر النهايات و الألياف العصبية و النخاع الشوكي، ليستقر إلى الأبد في دماغي الصغير. لم أعثر على عصفور الحجام أو على بقايا ريشه، لكني بالمقابل فقدت جناحي عصفوري باسم السماء و بدون رجعة. أعتقد أني نمت من شدة الألم، أو بالاصح فقدت الوعي من أثر الصدمة، و لما استيقظت بعد ساعات في حضن أمي الحبيبة، وجدت العرس قد بدأ، و كنت فيه العريس التعيس، الذي سرقوا منه غرلته و أعطوه النقود مقابل ذلك. حينها بالضبط بدأت قصتي مع الختان.

مرت الأيام و الشهور و الأعوام، و بفضل تربية الوالدين العزيزين و توجيههما و حثهما لي باستمرار على قراءة و ترتيل القرآن الكريم، و إدمان الحروف و الكلمات و الكتب و الجرائد، بدأت مسيرة البحث المستمر عن المعنى. و بدأ فضولي بالأفكار ينمو و يزداد. و في خضم ذلك، التحقت مبكرا بحلقات التربية التي كان يقيمها بعض الصالحين في حينا، ممن كانوا ينتمون إلى جماعة "العدل و الإحسان"، و سني لم يتجاوز بعد الثانية عشر سنة. شاءت الأقدار بعدها أن أرحل عن الدار البيضاء، لأواصل تعليمي الإعدادي و الثانوي بباشوية بوجنيبة، المجاورة لمدينة خريبكة. التحقت حينها بحلقات التربية التي كان يؤطرها أساتذة أجلاء محترمون، ينتمون لحركة "الإصلاح و التجديد" سابقا - حركة "التوحيد و الإصلاح" حاليا، و كذا ببعض النوادي و الجمعيات الثقافية الناشطة حينها بدار الشباب.

أتذكر، لما كنت عضوا في "جمعية المنار للتربية و الثقافة" سنة 1995، كيف ساهمت في "إنجاح" عملية ختان جماعي "استفاد منه" - و أي استفادة ؟؟؟ - العشرات من الأطفال اليتامى و الفقراء. إذ كلفني مسيروها بجمع التبرعات المالية، و طرق أبواب التجار و المساجد لإقناعهم بمساعدتنا على تنظيم و إنجاح ذلك العمل "الخيري". أتذكر كيف أنني لم أجد أدنى صعوبة، رغم حداثة سني و تلعثم كلامي، في إقناع الكثيرين بضرورة التطوع لتمويل قطع غرلات اليتامى و الفقراء، حتى "يكتمل"

إسلامهم. أتذكر الآن، صور و بكاء هؤلاء الأطفال الذين كانوا يساقون مثنى و ثلاث و رباع، إلى داخل مركز "الهلال الأحمر المغربي" ببوجنيبة، ليكشف الاطباء "المطتوعون" عن عوراتهم أمام الملأ الحاضر، و من بينهم ممثلو بعض الأحزاب السياسية و السلطات المحلية، و لتقطع غرلاتهم أيضا باسم السماء. أتذكر كيف كنا نهدي إلى أمهات بعضهم و ذويهم وعاء زيت، و كيس طحين، و ملابس بيضاء تسر الناظرين مقابل أتعابهن، أو بالأحرى، عزاء في غرلات أبنائهن. لما أتذكر تلك المشاهد، التي اختلطت فيها الدماء بالدموع، أكاد أجن و أتمتم في نفسي : هل كان هؤلاء الأطفال البرآء الفقراء اليتامى فعلا بحاجة إلى قطع غرلاتهم ؟ و هم الذين أعدمت أقدار السياسة أرزاقهم و ضيقت الحال على أوضاع عوائلهم الاجتماعية و الاقتصادية ؟ و هم الذين حرمتهم أقدار الله من دفء الوالدين، أحدهما أو كليهما ؟ إلى كل هؤلاء الشباب، الذين ساهمت زمن طفولتهم، بجمع تمويلات ختانهم و قطع غرلاتهم و إكراههم على الانتماء للرعية المختونة، إلى كل هؤلاء الشباب الذين تجاوز أكثرهم سن العشرين اليوم، أقدم خالص اعتذاري.

في تلك الفترة بالذات - و بالإضافة إلى شغفي المبكر بالشعر العربي الجاهلي و بالشعر الحر التحرري المعاصر و خصوصا بلافتات أحمد مطر و قصائد نزار قباني - بدأت في التعرف على أفكار مدرسة تجديد الفكر الإسلامي و روادها المعاصرين من أمثال مالك بن نبي، جودت سعيد، محمد إقبال، علي عزت بيغوفيتش، محمد الغزالي، خالص جلبي، محمد عبيد حسنه، عماد الدين خليل، ماجد عرسان الكيلاني و غيرهم. و تأثرت بقوة أطروحات المقرئ الإدريسي أبو زيد و موسوعية مراجعه و دعوته إلى نبذ التقليد و اجتناب سلوك المقلدين، و تقديس السؤال أسوة بالأنبياء إبراهيم و موسى مثلا، و اتباعا لمنهج التفكير في القرآن الكريم، كما صاغه و لخصه في إحدى محاضراته القيمة. بدأ اهتمامي بفكر اللاعنف يكبر شيئا فشيئا، و بدأت أطروحات جودت السعيد خصوصا، تجد صداها في نفسي بعد ان التهمت بنهم شديد كل كتبه المتوفرة في السوق المغربية آنذاك.

في سنة 1999، قررت مغادرة أرض الوطن لتكملة الدراسة الجامعية خارجه. و منذ ذلك الحين، استقرت بي الأوضاع هنا و لا تزال. لقد كان حدث الهجرة نقطة انعطاف أساسية في استمرار رحلة البحث عن المعنى و تنويع سبلها. إذ مقامي في مجتمع أوربي إنساني و حر و مفتوح و تعددي - يعلي من حرية الإنسان و من شأنه، و يعظم حقوقه الأساسية و يحفظها بمؤسسات العدل المستقلة، و يقدس الفلسفة و العلم و المعرفة، و يوفر للناس مصادرها و يضمن مجانيتها، و يحترم الأديان المحلية و الوافدة، و يوفر لها فضاءات التعبير عن نفسها، مع ضمان حق و حرية الأفراد في اتباعها او في اجتنابها، و يضمن مساواة الجميع أمام القانون و سبل التعايش دون صراعات أو حروب - يمثل في تقديري أعظم نعمة وهبتها، بعد نعمة الحياة.

في هذا السياق، التحقت بداية بجماعة "الإخوان المسلمين"، و بفرع تنظيمها الدولي بفرنسا المنتظم تحت يافطة "اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا". و كلفت داخلها ببعض المسؤوليات الطلابية و الثقافية و الدعوية، جهويا و وطنيا. لكن مشاغلي الجامعية و الجمعوية لم تؤثر على استمرار مسيرة بحثي، بل لقد تسارعت بفضل توافر الكتب و المراجع، و بفضل دمقرطة الأنترنيت و تيسر سبل الاتصال و التواصل. اطلعت حينها على ما لم أستطع الحصول عليه لما كنت بالمغرب. و انفتحت على فلسفات و أفكار و ديانات و مؤلفات كتاب آخرين عربا و أجانب، إسلاميين و علمانيين، قدماء و معاصرين منهم أحمد صبحي منصور، محمود أبو رية، فيكتور هيغو، محمد شحرور، سبينوزا، المهاتما غاندي، محمد الطالبي، برتراند راسل ، جمال البنا، الصادق النيهوم، لانزا ديل فاستو، أيدغار موران، جون ماري

ميلير، المصطفى بوهندي، عبد الرزاق عيد، سامي الديب أبو الساحلية، إيتيان دو لا بويسيه، ليون تولستوي، زكرياء أوزون، هشام جعيط، أدونيس، طه عبد الرحمن، ديكارت، كانط، نصر حامد أبو زيد، محمود محمد طه، محمد خاتمي، محمد عابد الجابري، بليز باسكال، عبد الجواد ياسين، ... و غيرهم.

و بدأت الأسئلة المزعجة تتناسل بداخلي، فيخرج من رحم كل سؤال سؤالين أو أكثر. و بدأت مسلَّمات الأمس - و منها حد الردة والختان - تفقد قدرتها على الصمود طويلا تحت وابل من قذائف عقل قلق، بدأ يستعيد حريته و استقلاله شيئا فشيئا، و بدأ يسترجع شغبه الطفولي البريء أيضا. و سرعان ما خرجت تلك الاسئلة المحرجة لذوي التدينات السطحية و المصلحية إلى العلن. و ساهمت في "تَسْخِينْ الطَّرْحْ" مع بعض الصالحين من جماعة "الإخوان المسلمين" في مدينتنا و مع إمامهم المحترم. فعشت حينها لحظات قوية و مشحونة في مقارعة حجج و قناعات فئة منهم، نصبت نفسها وصية على الله و على الناس. و صيرت قناعاتها المحترمة و حقائقها النسبية و إيديولوجيتها السياسية و نصوصها التنظيمية دينا وعقيدة، من آمن بها أمن من عنف حرب إشاعات شيوخها الضروس. و من انتقدها صار في نظرها زنديقا كافرا مرتدا عن الدين - عن دينها كما ألفته أيادي فقهائها. و استغلت بيوت الله الطاهرة و محاريبه و منابره للتبشير الحصري بحقائقها الوثوقية و تسفيه حقائق الآخرين من دون السماح لهم - و المكان بيت الله المفتوح - بالتعبير عن آرائهم أو عن مواقفهم، و لا تزال على تلك الحال. فانتهى بي الأمر إلى الاستقالة من جماعتهم و من كل جمعياتها الأصلية و الفرعية، و تفرغت أخيرا لعملي المهني توفيرا لقوت عيالي، و تفرغت أيضا لبحوثي قراءة و تأليفا و نشرا. لا يضرني من خالفني و لا يزيدني من وافقني.

في أواخر سنة 2006، حباني ربي بابني المحبوب، ففرض موضوع الختان نفسه علي من جديد. لقد كانت ولادته بمثابة ذلك الحدث الجميل الجليل، الذي وضعني وجها لوجه أمام مسؤوليتي كأب و أمام ضميري كذلك. لم أكن أستطيع الفرار من صحوة الضمير و من صوته أيضا. لأننا نستطيع الهروب من كل شيء، إلا الهروب من ضمائرنا. و لأننا نستطيع التحايل على كل شيء، إلا التحايل على ضمائرنا. عندها بدأت التساؤلات الصاعقة و العميقة تتناسل بداخلي من جديد : ما عساي أفعل إذن ؟ هل ينبغي أن أعيد تكرار و إنتاج ما عانيت منه في صغري ؟ هل ينبغي أن أسلب من ابني سيادته على جسده و على عضوه التناسلي، تماما كما سلب حجام مدينتنا سيادتي على جسدي و على عضوي التناسلي ؟ هل أنا ملزم فعلا بسوق ابني إلى الحجام، أو إلى الطبيب، ليطبع على حجره خاتم الختان فيصبح مختونا، ناقص الخلقة و مشوه الفطرة، ضمن زمرة المختونين من المؤمنين ؟ هل أنا ملزم فعلا بطبع خاتم الختان على جسد ابني علامة انتمائه - غير الاختياري - لأمة "الحق" - أو هكذا تتصور نفسها ؟ لكن يا إلهي، باسم أي حقيقة يلزمني أن أنقش على جسد ابني - و بصفة أبدية - ما أعتبره "كذبة" الختان الرهيبة ؟ باسم أي حقيقة يا ربّ ؟

عندها بدأت، رفقة زوجتي الكريمة، تقليب الموضوع ذات اليمين و ذات الشمال لفهم أسبابه و غاياته و أبعاده و مقوماته، و الإحاطة به من كل جوانبه قبل اتخاذ أي قرار متعلق بفعله أو بتركه. لم أجد في الكتابات العربية و الإسلامية ما يشبع فضولي و نهمي. لم أجد إلا تكرار الأحياء لأقوال أقوام ماتوا منذ قرون خلت. لم أجد إلا اجترارا لنصوص حشرت في الدين و قدست و رفعت فوق النقد و المراجعة و السؤال. لم أجد، بالإضافة إلى تلك النصوص الغريبة العجيبة، إلا تفاسيرها الأكثر غرابة و حواشيها و تفاسير حواشي حواشيها. لم أجد فيما استطعت جمعه من المراجع القديمة و الجديدة إلا أقوالا قيلت و كتبت و نشرت و فرضت على العباد - أو على العبيد بصيغة أصح - تماما كما تفرض الجبايات و الضرائب و المكوس و الجزيات. و كأن قدرنا المشترك تكرار و اجترار الماضي، تماما كتكرار حمار الناعورة

لحركة دائرية دائبة، فرضت عليه عنفا و إكراها بالعصا و ضربات الرحمة الموجعة، فهو مستسلم لقدره لا يأبه بإعادة نفس حركة الدوران، حول نفس المحور، في نفس المكان، تحت نفس الشمس الحارقة و نفس السياط الرحيم، رغم تغير الزمان و تبدل الأحوال. فالحمار سيبقى حمارا و لا ضير. فما دامت هناك ناعورة مشغلة، هناك حمار يدور. حتى إذا تعب المسكين من الدوران و خارت قواه، استبدله صاحبه بحمار شاب آخر سيدور ما شاء الله له ان يدور، و هكذا دواليك !

لم أستسلم و قررت المضي في البحث و التنقيب لفهم قضية الختان و أصوله و جذوره، بصفة خاصة، و لفهم قضية الإكراه و العنف و علاقتهما بدين الله تعالى من عدمها، بصفة أعم و أشمل. إذ الختان، شئنا أم أبينا، يمثل نوعا خاصا جدا من إكراه الطفل - و هو وليد صغير و دون إرادته - على الانتماء القسري للأمة المختونة. و هو أيضا أول أشكال العنف الدموي الذي يتعرض له الطفل قبل أن يصبح ذا حول و قوة. بل إن بعض الأطفال الصغار جدا يختتنون باسم الله، و لم تتجاوز أعمارهم السبعة أو الثمانية أيام بعد.

تصوروا طفلا وليدا قد نجح بالكاد في فتح عينيه الصغيرتين بالكامل، أياما بعد ولادته، فيكون أول ما تستقبله عيناه و دماغه من إشارات و معلومات عن عالمنا : مقص الحجام أو مشرط الطبيب و صورة دمه الدافئ القاني يسيل في حجره و هو لا يدري لماذا. أي صورة تلك التي ستنطبع في ذهنه إلى الأبد عن عالم الكبار من حوله ؟ أي طريقة تلك التي نستقبل بها الحياة الجديدة حين نختنها في مهدها ؟ أي نوع من البشر سيصير ذاك الطفل الذي يحمل معه منذ نعومة أظافره، بصمة العنف الدموي في حجره و رباط الانتماء غير الواعي لجماعات بشرية غريبة، لا تحسن استقبال أجيالها الصاعدة إلا بمقص الحجام أو بمشرط الطبيب ؟

بدأت أكتشف شيئا فشيئا **أن لا علاقة قطعا للختان بالقرآن الكريم**. و أن الختان ليس فقط تلك العملية الروتينية التكرارية التقليدية التي نطبعها على أجساد فلذات أكبادنا باسم الله. بل إنها واحدة من تلك العادات القديمة جدا، و الضاربة في التاريخ و الجغرافيا و الأديان الوثنية الهرمية، و التي تمت أسلمتها لأسباب معينة، في ظروف سياسية معينة، بواسطة رجال دين معينين، و خدمة لأهداف استراتيجية معينة، اختلطت فيها أغراض رجال الدين الآنية بأطماع رجال السياسة بعيدة المدى.

فهمت حينها أن الختان رمز و ركن ركين من أركان نظام ديني إكليروسي يمتطي صهوة السياسة، و مقوم أساسي لنظام استبدادي إقطاعي يركب صهوة الدين. و لا غرابة إذا علمنا أن الحفريات الأركيولوجية ترجع ظهور الختان إلى عهد الفراعنة قبل موسى و انتشاره في مجتمعات وثنية قديمة جدا، كانت تقدم الأحياء قرابين للأموات و للأصنام و للأشباح. و لعل ظهوره - أو انتشاره بشكل واسع - زمن الفراعنة لدليل على ارتباطه الوثيق أيضا بسياسات الفراعنة و باستبدادهم و تسلطهم على مصائر الناس و على أجسادهم و أرزاقهم، مهما اختلفت الحقب و الأديان و الأشكال و المسميات. حتى إني لأكاد أصوغ شبه فرضية تعيسة لشبه قانون أتعس : **"حيثما وجد الختان و انتشر، فثم وجه فرعون و سحرته" !**

في صيف 2009، و بعد ثلاث سنوات عن بداية دراستي للموضوع، نشرت على صفحة موقعي الالكتروني بحثا ملخصا عن الختان باللغة الفرنسية عنونته ب : **"السعر المناسب لأرض الميعاد : تصور عن الختان"**، ضمنته نتائج استقصائي لنصوص القرآن الكريم و لجملة الأحاديث التوراتية المنسوبة للنبي، المتضمنة في الكتب المعتمدة عند أهل السنة و الجماعة، و على رأسها مدونتي البخاري و مسلم، و ضمنته أيضا ارتباط الختان بعقيدة "شعب الله المختار" و عقيدة "أرض الميعاد" اعتمادا على صريح

نصوص كتاب العهد القديم العبراني. و استفدت كثيرا من الدراسات القيمة و الموثقة و المستفيضة التي ألفها و نشرها رجل القانون السويسري، ذي الأصول الفلسطينية، الدكتور سامي الديب أبو الساحلية، الذي يعتبر من أهم من تناولوا الموضوع من جوانبه التاريخية و الدينية و القانونية و الطبية و غيرها. و اطلعت ايضا على ما ألفه المفكر الجزائري مالك شبل و كتابه عن تاريخ الختان العريق و غيره من المقالات و الأبحاث بالفرنسية و الانجليزية. و منذ ذلك الحين و إلى حدود كتابة هاته المقدمة، تم تحميل ذلك البحث المختصر مجانا أكثر من 47.000 مرة، أي بمعدل 25 مرة في اليوم تقريبا.

منذ ذلك الحين، و اهتمامي بهذا الموضوع يزيد و لا ينقص نظرا في معانيه، و تمحيصا في حقيقة ارتباطاته المزعومة بالله تعالى، و سعيا لتتبع خيوط ارتباطاته الحقيقية الأخرى، الظاهرة و المستترة، بالدين الإكراهي و بالاستبداد السياسي، بتاريخ الصراعات الدينية و الإيديولوجية في سبيل توسيع رقعة الممتلكات الجغرافية، و بخيانة الأطباء لرسالتهم التطبيبية مقابل تكثير أرباحهم المادية - شأنهم في ذلك شأن المختبرات و شركات تصنيع الأدوية، و بظواهر العنف و الإكراه الكثيرة التي تنخر جسد الأسرة و المدرسة و الجامعة و المسجد و تحول مجتمعاتنا العربية و الإسلامية إلى حفر من جحيم !

اكتشفت أن موضوع ختان الذكور، خصوصا، يدخل في دائرة محرمات و محظورات التفكير في الشرق أو في الغرب، في الشمال أو في الجنوب. اكتشفت أيضا أن مجرد النظر بشك و ريبة في اتجاه صنم الختان المقدس، لمعاكسته أو لمساءلته - كما فعل إبراهيم عليه السلام مع أصنام قومه و مع كبيرهم - يجر على صاحبه تارة الاتهام بالردة و الزندقة من طرف فقهاء الحديث - على اعتبار أن ختان الذكور معلوم من الدين بالضرورة في عرفهم - و أنه يجر على صاحبه تارة أخرى، الاتهام بمعاداة السامية من طرف أحبار التوراة، و جماعات ضغطهم السياسية و الإعلامية هنا و هناك، على اعتبار أن قيام دولة إسرائيل و استمرارها مؤسس على نص توراتي مقدس، يرهن تملك أرض كنعان إلى الأبد - و منها فلسطين و النواحي - باستمرار تأدية العبرانيين لثمنها من غرلات ذكرانهم و ختان صبيانهم.

اكتشفت أن المسلمين و اليهود و إن اختلفوا - ظاهريا فقط - على كل شيء، إلا أن ختان و قطع غرلات الذكور يوحدهم، و يجعلهم جيشا واحدا و صفا واحدا على من تجرأ على تسليط أضواء الحكمة و العقل على أعضائهم التناسلية. اكتشفت أن التشكيك في الختان يضع رأس المشكك بين سندان أحبار اليهود و مطرقة فقهاء المسلمين. اكتشفت أن التشكيك في الصوابية الدينية لقطع غرلة صبي أعزل، يضع عنق المشكك حيث تلتقي سيوف الأحبار و الفقهاء. و بدا لي أن الصراع الفلسطيني/ الاسرائيلي لن يحل أبدا، مادامت رحاه تدور بين جيشين مختونين، كل واحد يعتقد أنه "شعب الله المختار" أو "خير أمة أخرجت للناس"، و كل واحد يزعم أن "الأرض الموعودة" - فلسطين و ما جاورها - ملك له وحده لأنها أرض باركها له الرب، و لأنه يؤدي للرب ثمنها بجزء غال من حجره المقدس جدا، أو لأنها ثالث الحرمين و مسرى النبي !

كل تلك التساؤلات و الملاحظات و الخلاصات، أصوغها اليوم في هذا الكتاب عن الختان الذكوري، بعد 32 سنة عن نقش حروف الختان على جسدي و بعد 8 سنوات من البحث و التفكير. لم أتطرق إلى ختان الإناث - الذي أستنكره بطبيعة الحال، بنفس القوة و الشدة و الرفض - رغم أن فقهاء الحديث يعتبرون ختان النساء و خفضهم "مكرمة حسنة". لم أتطرق إليه لأنه غير مشاع و غير معمول به في المغرب الأقصى إلى حد الساعة، ربما سيستطيع "أنصار السنة"، مع قليل من الصبر و المثابرة و الدعوة و التبشير، فرضه غدا على طفلات المغرب و على نسائه كما استطاعوا إشاعة النقاب الطالباني

الأفغاني الوهابي و سجن كل جسد المرأة في كهف معتم متحرك. من يدري، فربما المسألة مسألة وقت و تمكن سياسي ليس إلا ؟

أضع هذا الكتاب بين يدي القارئات و القراء، من الأمهات و الآباء و من غيرهم، آملا أن يجعلهم يفتحون ملف تقليد الختان المسكوت عنه في ديننا و في مجتمعنا و في ثقافتنا. ذاك التقليد الذي يعنى بشكل مباشر بأجساد فلذات أكبادنا و بصحتهم، و بتوازنهم النفسي و الروحي، و بإعدادهم لدخول العالم بقيم راشدة أخرى، غير تلك القيم الملطخة بدمائنا و دماء غيرنا، التي ورثناه عن آبائنا و عن أجدادنا، و التي تمت صياغتها بقلم الاستبداد و بمداد الطاعة، و تم تدوينها على ورق الهوان الأصفر. و غير تلك القيم الأخرى التي يسعى أولو الأمر و النهي، أولو الخفض و الرفع، أولو النصب و الاحتيال، من الأسياد و الفقهاء، من الفراعنة و السحرة و الكهنة، تمريرها و تأبيدها باسم الدين، حفظا لمصالحهم، و ضمانا لاستمرار طغيانهم، و امتصاصهم لدماء شعوبهم من المهد إلى اللحد، و من ساعة الخروج إلى النور إلى ساعة الطمر في القبور!

هذا الكتاب، الذي أنشره للإبلاغ فقط و ليس للإقناع، يتوجه أساسا إلى طائفة المؤمنين بالقرآن الكريم و بهديه ، من دون أن يستثني الآخرين بطبيعة الحال، ليدعوهم من خلال رسالته التالية و مباحثه الإثنى عشر إلى عرض الختان الذكوري خصوصا، على نور القرآن الكريم ابتداء. ثم ليدعوهم للبحث عن جذوره الحقيقية و عن أسبابه و فهم طريقته العملية، و الإحاطة بآثاره و أخطاره و مضاعفاته و عواقبه على النفس و المجتمع و الكون و الحياة.

كل مبحث يضم العشرات من الأسئلة البينة، مدعمة بمجموعة من المعلومات الموثقة بأدلتها و مراجعها، حتى يستطيع القراء امتحان تلك الأدلة و التأكد منها من مضانها. و إن الجواب على تلك الأسئلة متروك نسبيا، و عن قصد للقارئ(ة). إذ الهدف الاسمى لهذا الكتاب هو طرح السؤال تلو السؤال، مع التلميح فقط إلى بعض الإشارات المساعدة على صياغة كل قارئة و قارئ لأجوبتهما الخاصة. تعمدت ذكر المرجع و الإحالة في صلب السؤال، حتى تكون القراءة مسترسلة و لا تتطلب حركة الذهاب و الإياب من الصفحة كذا إلى آخر المبحث بحثا عن المصدر.

لقد استعنت في الفصول الأخيرة بمجموعة من الرسوم البيانية لتتضح الرؤية و يزول الغبش و الضباب و الغشاوة. فرب رسم أبلغ و أوضح من ألف مقال و كتاب. و إني لأهيب بالقراء الكرام أن **"لا يغضوا أبصارهم"** عن تلك الرسوم و الصور - فيغضوا عقولهم تبعا لذلك - لعلة حياء أو لأنها تفتقد للباس الحشمة أو للذوق الرفيع، فلا حياء في دين كما يقال. و للإشارة و التذكير، فالحجام أو الطبيب الخاتن حين يقطع غرلة صبي بريء أعزل، لا يهمه كشف عورة الصبي أمام الملأ بدون رضاه، و هو أيضا لا يكف مقصه عن إدايته و إدمائه و تعريضه للخطر أيضا. ثم أي ذوق رفيع ذاك الذي تعبر عنه عملية قطع غرلة صبي بريء دون حاجة طبية ملحة ؟ إني أهيب بالقراء الكرام أن ينظروا إلى تلك الصور في عينها بتمعن، و إلى تلك البيانات، نظرة باحث عن الحقيقة و لا شيء غيرها : **"وفي أنفسكم أفلا تبصرون"** ؟

أعلم أن بعض الباحثين الجامعيين الأكاديميين - من أولئك الذين يذعنون لديكتاتوريات بعض المناهج الجامعية البحثية و لبعض الأنساق المعرفية المنغلقة، و من أولئك الذين يعانون انفصاما حادا في شخصياتهم، بين تكوينهم الأكاديمي و العلمي و المعرفي من جهة، و بين إذعانهم الصريح أو السكوتي و غير المفهوم و غير الواعي للموروث التقليدي، شأنهم في ذلك شأن الملايين المستسلمة و الأمية و التابعة و الطائعة و الصامتة - سوف تستفزهم أفكار هذا الكتاب و موضوعه، و طريقة عرض استماراته البحثية،

و نظام تصميم فقراته، و طريقة صياغة أسئلته، لكن لا ضير. إلى كل هؤلاء، أقول من دون حرج : يا قوم، دلوني على منهج عقلي إنساني سلامي و سليم و مقنع، يتبناه و يعتمده جمهور القدماء و المحدثين المناصرين للختان لفرضه على الأطفال باسم الله الاعظم، و سأعيد صياغة الكتاب على منوال المنهج البحثي و الاكاديمي الذي يرضيكم. لكن ما الذي يمنعكم، معشر المتخصصين و العارفين من تناول هذا الموضوع و البحث فيه و نشر نتائج أبحاثكم بالطريقة التي تفضلون ؟ ما الذي يمنعكم من كسر طوق صمتكم ؟ هل هو ختان غرلاتكم في الصبا ؟ أم ختان ألسنتكم الآن ؟ أم الخوف و الرهبة من ختان أرزاقكم و أعناقكم غدا ؟

أتمنى أن يسهم هذا العمل المتواضع في رفع هالة القداسة عن تقليد الختان، و أن يساعد الأمهات و الآباء على التفكير العميق قبل اتخاذ قرار ختان أطفالهم من عدمه. فكم من أم حزينة أبدا، فقدت وليدها نتيجة نزيف حاد بعد ختانه، و لم تكن المسكينة تعلم قبل الفاجعة عن الختان إلى إسمه و طقوسه الاحتفالية. و كم تمنت المكلومة لو سنحت لها فرصة المعرفة و الاختيار من قبل، تكون قد غيرت قرارها في الوقت المناسب. لكن سبق "سيف" الموت "عدل" التفكير، فالجهل يقتل و لا يرحم. و قديما قال حكماء المغاربة : "**أَلْفْ تْخْمِيمَة وْ تْخْمِيمَة وْ لَّا ضَرْبَةْ مْقَصْ**"، مثل جامع شامل اخترته عنوانا ملخصا لتساؤلات كتابي و لمحتواه و لمراميه أيضا، الآن و غدا.

"فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذهَبُ جُفَاءً، وَ أَمَّا مَا يَنفَعُ النَاسَ فَيَمكُثُ فِي الأَرضِ"

محمد اللوزي - فرنسا، ربيع 2014



رسالةٌ إلى كل أمٍّ و أبٍ

أيتها الأم الحنون، أيها الأب الرؤوف، عليكما السلام و الرحمة، و بعد،

لقد رزقكما الله تقدست أسماؤه بولد ذكر، جميل، وديع، مبتسم، كامل الخلقة و معافى من كل داء. هو إحدى ثمار الحب و المودّة اللتان تجمعان بينكما، و تملآن حياتكما اليومية سعادة و سرورا و انشراحا. انظرا إليه : إنه طفل صغير بريء، ينعم بالحنان و الدفء و الرحمة في حضنكما. و يحضى منكما بالتربية و العناية اللازمتين لنموه و اشتداد عوده، حتى يكبر و يستقيم، و يصبح إنسانا سويا بارّا بكما و صالحا مصلحا لنفسه و للعالم من حوله. يمشي بالخير بين الناس و يدعو له، و ينشر العلم و السّلم حوله أنّى حلّ و ارتحل. و لست أشك لحظة واحدة أنّكما ترعيانه الرعاية اللازمة، بل أكثر. بوركت مساعيكما، و كلّلت جهودكما التربوية و التعليمية و التثقيفية بالنجاح و التوفيق.

أيتها الأم الحنون، أيها الأب الرؤوف،

تقتضي بعد التقاليد السائدة و الأعراف الجاري بها العمل في مجتمعاتنا العربية و الإسلامية، و في صفوف الجاليات العربية المسلمة المقيمة بصفة دائمة أو مؤقتة، في أوربا و أمريكا و غيرهما، أن نختن أبناءنا الذكور، و أحيانا الإناث أيضا. بل إن الفكرة السائدة و المشاعة بين الناس، و المتوارثة جيلا عن جيل، تعتبر الختان أكثر من مجرد سنّة، بل فريضة شرعية إسلامية وجب العمل بها، اقتداء بنبي الله إبراهيم و بنبي الله محمّد عليهما الصلاة و السلام حسب الأقوال السائدة. و لعلكما في هاته اللحظة، قد قررتما العمل بهاته السنّة أو الفريضة، اقتداء بمن سبقكما.

لعلكما قررتما أن تحملا طفلكما إلى عيادة الطبيب، أو أن تحضرا إلى بيتكما "حجّاما" أو "خاتنا" لإتمام تلك السنّة، و للقيام بتلك الفريضة كما هو حال جلّ الآباء و الأمّهات، من المسلمين و المسلمات. و لعلكما أيضا قد قررتما إقامة حفل بهيج بهاته المناسبة، و دعوتما الأقارب و الأحباب و الأصحاب لحضور ذلك العرس و خصصتما من أموالكما ميزانية لتغطية مصاريف العملية و الاحتفال. لكن اسمحا لي، من فضلكما، أن أقترح عليكما قبل أن تقدما على فعل ما قد نويتما فعله، بهذه المناسبة، فرصة للتفكير الهادئ، و السؤال المشروع و المطلوب، تمحيصا لقرار الختان، و امتحانا لمرجعيته و لمعانيه، و إلماما بعواقبه و مضاعفاته و تبعاته الآنية و المستقبلية، الحقيقية أو المحتملة.

و إني إذ اقترح عليكما فرصة التفكير الهادئ هاته، أود أن أقاسمكما عدة أسئلة مشروعة ساورتنا، أنا و زوجتي الكريمة، لما طرح علينا سؤال ختان ابننا و حبيبنا وقرة أعيننا. إنها نفس الأسئلة التي طرحناها على أنفسنا حتى يتضح لنا السبيل و تتجلى لنا الرؤية، و حتى نكون على بينة من الأمر، و تطمئن القلوب، و تحصل المعرفة الحقيقة بالمقصد التعبدي - إن وجد - من وراء الختان، و حتى لا نعبد الله تعالى عن جهل، فالله الرحيم لا يعبد عن جهل. و حتى لا نكون إمّعة نسير حيث يسير القطيع، إن أحسن الناس أحسنا و إن أساؤوا أسأنا. و حتى لا نكون من الذين جعلوا دينهم تقليدا دون فهم، و اتباعا دون تمحيص، و تكرارا دون معرفة، و اجترارا دون سؤال عن ماذا؟ و لماذا؟ و متى؟ و من؟ و أين؟ و كيف؟

أيتها الأم الحنون، أيها الأب الرؤوف،

لأن عقيدة الحساب و الجزاء الأخروي كما نؤمن بها، تجعل مسؤوليتنا أمام الله تعالى جميعا يوم الحساب - يوم لا تخفى عنه سبحانه منا خافية - مسؤولية فردية بمنطوق القرآن الكريم القطعي و بمفهومه أيضا.

و لأن كل إنسان مكلف، حر، مختار سيمثل فردا وحيدا أمام الله، لا تنفعه شفاعة الشافعين، و لا دعوات الأنداد و الشركاء، يوم لا يغني والد عن مولود شيئا، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. و سيسأل عن أعماله و عن اختياراته و عن قراراته.

و لأن إمكانية تحميل الآخرين مسؤولية أخطائنا إمكانية غير واردة بتاتا وغير محتملة، بنص القرآن الكريم نفسه.

ولإن السابقين، أمما و أفرادا، ليسوا مسؤولين عن اختياراتنا و لسنا مسؤولين عما كانوا يعملون. تلك امة قد خلت لها ما كسبت و لنا ما كسبنا.

و لأن قانون الله الحكيم الغالب يقتضي أن لا تزر وازرة وزر أخرى و أن كل فرد مسؤول مسؤولية كاملة على أعماله.

و لإن أول آية نزلت كانت آية "اقرأ" و ليس آية "قلّد"، و لأن السورة التي تضم تلك الآية الخالدة، وهي سورة العلق المكية، اختتمت ب : "كلاّ لا تطعه و اسجد واقترب".

لهذه الاعتبارات كلها، فإننا - أنا و زوجتي - رفضنا مبدئيا الانسياق وراء تكرار عادة الختان دون فهم أو علم مسبق حتى يستبين لنا السبيل، و يكبر ابننا سيدا كامل السيادة على جسده، و مالكا كامل التملك لقرار يخص ختانه من عدمه. و قررنا أيضا أن نمحص الأمر، و نقلبه ذات اليمين و ذات الشمال، و ان نطرح الأسئلة تلو الأسئلة، بحثا عن أوجه الحقيقة المتعددة، اقتداء بسنة ابراهيم عليه السلام، الذي يقص علينا القرآن الكريم خبره و نبأه لما طلب من الله تعالى :"**رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أولم تؤمن؟ قال بلى، و لكن ليطمئن قلبي**" (البقرة - 260).

هاته الأسئلة المتعددة و المشروعة، أضعها اليوم بين أيديكما، أيها الوالدان الطيبان الكريمان، علها تساعدكما على تمحيص قرار ختان ابنكما، لأسباب دينية، من عدمه. إنها أسئلة، بعضها جوهري وبعضها هامشي، صنفتها على شكل استمارات بحثية من عدة اقسام و بعناوين تلخص اتجاه البحث، تتيح إمكانية إجابات متعددة. هدفها كشف حجم معرفتنا و إلمامنا بموضوع الختان و بدواعيه و بعواقبه قبل الإقدام عليه. إنها علامات على الطريق، تبتغي فقط التأكد من تحصيل العلم بالشيء و التفكير العميق فيه قبل الإقدام على العمل به، عملا و اقتداء بتوجيه و تحذير القرآن الكريم في قوله تعالى : "**ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع و البصر و الفؤاد، كل أولئك كان عنه مسؤولا**" (الإسراء - 36). و به وجب الإعلام و التذكير !



الاستمارة البحثية الأولى :

في البدء ... كان السؤال

1) هل تعرف معنى الختان ؟

2) هل شاهدت يوما ما، عملية ختان تجرى على طفل ؟

3) هل بحثث في موضوع الختان لمعرفة دواعيه و حكمه الشرعي ؟

4) هل نظرت في كتاب الله تعالى بنفسك لمعرفة قول الله في الختان ؟

5) هل بحثث في كتب دينية أخرى لمعرفة حكم الله في الختان ؟

6) هل سألت أحد أفراد محيطك لمعرفة حكم الله في الختان ؟

7) هل اطلعت على كتب أخرى تناقش الختان من وجهة نظر الدين و الأديان ؟

8) هل اطلعت على كتب أخرى تناقش الختان من وجهة نظر القانون ؟

9) هل اطلعت على كتب أخرى تناقش الختان من وجهة نظر التاريخ ؟

10) هل اطلعت على كتب أخرى تناقش الختان من وجهة نظر العلم الحديث ؟

11) هل اطلعت على كتب أخرى تناقش الختان من وجهة نظر الطب ؟

12) هل اطلعت على كتب أخرى تناقش الختان من وجهة نظر علم النفس ؟

13) هل اطلعت على آراء و وجهات نظر أخرى غير آراء و وجهات نظر فقهاء الدين ؟

14) هل اطلعت على مقالات و دراسات تخبر عن فوائد الختان ؟

15) هل اطلعت على مقالات و دراسات أخرى تبرز مخاطر الختان على الطفل، التي قد تودي بموته أو بإصابته بعاهات مستديمة ؟

16) هل تعزم على ختان ابنك لأسباب دينية محضة ؟

17) هل تعزم على ختان ابنك لأسباب غير دينية ؟ (أسباب طبية أو غيرها)



الاستمارة البحثية الثانية :

في علاقتك الشخصية بالقرآن الكريم

18) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**أليس الله بكاف عبده**" (الزمر - 30) ؟ الذي يشير إلى أن الإنسان المؤمن يكتفي بالله ربا و بقرآنه كتابا هاديا.

19) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى :"**قل أغير الله أبغي ربا و هو رب كل شيء**" (الأنعام - 164) ؟

20) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى :"**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**" (البقرة - 2) ؟

21) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى :"**و بالحق أنزلناه و بالحق نزل**" (الإسراء - 105) ؟

22) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق، فبأي حديث بعد الله و آياته يؤمنون ؟ ويل لكل أفاك أثيم. يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كان في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم**" (الجاثية - 6-8) ؟

23) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى. و كذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه**" (طه - 125-127) ؟

24) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات و الهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون. إلا الذين تابوا و أصلحوا و بينوا فأولئك أتوب عليهم و انا التواب الرحيم**" (البقرة - 159) ؟

25) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر**" (القمر - 22) ؟

26) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**ما فرطنا في الكتاب من شيء**" (الأنعام - 38) ؟

27) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**" (النحل - 89) ؟

28) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل كل شيء**" (يوسف - 111) ؟

29) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**و لقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون**" (الأعراف - 52) ؟

30) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**و تمت كلمة ربك صدقا و عدلا لا مبدل لكلماته و هو السميع العليم**" (الأنعام - 115) ؟ الذي يعني أن كلمة الله تعالى تمت بالقرآن و لا مبدل لكلمة الله سبحانه .

31) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**اليوم أكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا**" (المائدة - 3) ؟ الذي يشير بصريح العبارة إلى اكتمال الوحي القرآني و إتمام نعمة الله على عباده بما ارتضاه لهم من هذا الوحي القرآني الكامل دون سواه.

32) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**و ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**" (الأنعام - 153) ؟ و هو دعوة صريحة لاتباع القرآن الراسم لطراط الله المستقيم و ترك ما عداه من سبل أخرى و من روايات أخرى و من اخبار أخرى يشوبها الظن.

33) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**و هذا صراط ربك مستقيما. قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون**" (الأنعام - 126) ؟ الذي يشير إلى كون القرآن هو صراط الله المستقيم و ما عداه من نصوص و أخبار خروج على هذا الصراط.

34) هل تؤمن و تصدق بقول الله تعالى : "**و قال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا. و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين و كفى بربك هاديا و نصيرا** " (الفرقان - 30 - 31) ؟ وهو إشارة صريحة إلى إعلان براءة الرسول الكريم ممن تركوا الاهتداء بكتاب الله و عوضوه بمراجع أخرى و نصوص أخرى و مصادر أخرى.



الاستمارة البحثية الثالثة :

هل الختان من هدي القرآن الكريم ؟

35) إذا كنت تؤمن بأن الله تعالى ما فرط في الكتاب من شيء، فهل تعلم أن القرآن الكريم لم يذكر "الختان" و لو مرة واحدة ؟

36) إذا كنت تؤمن بأن الله تعالى ما فرط في الكتاب من شيء، فهل تعلم أن القرآن الكريم لم يخبر أبدا عن ختان أي نبي أو عن أي رسول ؟

37) إذا كنت تؤمن بأن الله تعالى ما فرط في الكتاب من شيء، فهل تعلم أن القرآن الكريم لم يتحدث أبدا عن ختان نبي الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام ؟

38) إذا كنت تؤمن بأن الله تعالى ما فرط في الكتاب من شيء، فهل تعلم أن القرآن الكريم لم يتحدث أبدا عن ختان الرسول محمد عليه الصلاة و السلام ؟

39) إذا كنت تؤمن بأن الله تعالى ما فرط في الكتاب من شيء، فهل تعلم أن القرآن الكريم لم يأمر أبدا نبيه و أتباعه بختان أبناءهم ؟

40) هل نسي الله تعالى أن يفرض علينا الختان بنص القرآن الكريم الصريح و القطعي في دلالته، كما فرض و كتب علينا فرائض أخرى (الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، الوضوء، الصدق، بر الوالدين، عدم قتل النفس، عدم الاعتداء على الغير، عدم كتم الشهادة، تحريم أكل الميتة و الدم و غيرها ...) ؟

41) إذا افترضنا، جدلا، أن الختان جزء من الدين فلماذا لم يتناوله القرآن الكريم بالتفصيل و التبيين و التوضيح كما فصل الوضوء، و المواريث، و محرمات الطعام، و مقادير الزكاة، و المحارم و غيرها من الأحكام و الفرائض ؟

42) هل يستقيم أن يترك الله تعالى أمرا أو فريضة دينية بمكانة الختان، كما يتصورها البعض، دون أن يقول كلمة الفصل التشريعية الواضحة البينة فيه ؟

43) لماذا لم يفرض الختان بآية محكمة صريحة بينة قطعية و لا خلاف حول تفسيرها، يفهمها الكبير و الصغير، الرجل و المرأة، الجاهل و المتعلم كما هو الشأن بالنسبة لفرائض و واجبات أخرى ؟



الاستمارة البحثية الرابعة :

بيت النبوة و الرسالة، هل كان بيت ختان؟

44) هل اطلعت على كتب "السيرة النبوية" لمعرفة حقيقة ختان النبي عليه الصلاة و السلام و ختان أبناءه الذكور قبل وفاتهم ؟

45) هل تعلم أن أول من دون سيرة النبي عليه الصلاة و السلام - حوالي **120 سنة** بعد وفاته - كان هو "محمد بن اسحاق المطلبي" - الذي عاش بين سنة 80 ه و سنة 151 ه ؟ هل تعلم أن سيرة ابن اسحاق لم تخبر أبدا عن "ختان" النبي عليه الصلاة و السلام و لم تخبر أيضا عن ختان أبناءه ؟

46) هل تعلم أن سيرة ابن اسحاق تناولت تفاصيل دقيقة من حياة النبي الكريم و أخبرت عن ولادته، و رضاعه، و عن حادثة شق صدره الغريبة، و عن غيرها من أحداث طفولته و نشأته، لكنها لم تشر إلى خبر ختانه لا تصريحا و لا تلميحا ؟

47) هل تعلم أن النبي الكريم رزق من خديجة بنت خويلد بثلاثة أبناء، ذكر أسماءهم محمد بن اسحاق في سيرته النبوية، و هم : القاسم و الطاهر و الطيب ؟ هل تعلم أن ابن إسحاق لم يخبرنا في سيرته أن النبي الكريم قد ختن أبناءه قبل (أو بعد) وفاتهم ؟

48) هل تعلم أن ابن إسحاق أخبر أن القاسم ابن النبي عليه السلام توفي بعد أن "**قد بلغ أن يركب الدابة و يسير على النجية**"، مما يوحي أنه كان غلاما يافعا، فهل تعلم أن ابن إسحاق لم يخبرنا عن ختان النبي لابنه القاسم قبل وفاته ؟

49) هل تعلم أن النبي الكريم كان قد رزق من زوجته مارية القبطية، في المدينة المنورة، بطفل إسمه إبراهيم، الذي وافته المنية و عمره 18 شهرا ؟ هل تعلم أن ابن إسحاق لم يخبرنا في سيرته عن خبر ختان إبراهيم ابن النبي الكريم ؟

50) بناء على ما سبق من أخبار سيرة ابن إسحاق، كيف يعقل أن يكون بيت النبوة بيت ختان و لا يوجد أي خبر و أي نص، في أول كتاب سيرة كتبت عن حياة النبي الكريم سنوات فقط بعد وفاته؟ هل يمكن تفسير الغياب بالنسيان أم أن النبي لم يختن أبناءه و لم يأمر بذلك ؟

51) كيف يعقل أن تخبرنا سيرة ابن إسحاق عن دقائق و تفاصيل حياته النبوية لكن من دون أن نجد أي أثر أو خبر عن ختانه ؟ أو عن ختان أبنائه ؟ أو عن ختان أحفاده ؟ أو عن ختان أصحابه و ابنائهم، من المهاجرين و الأنصار ؟

52) كيف تفسر هذا الصمت، في سيرة ابن إسحاق، عن الختان في بيت النبوة و في بيوت صحابته الكرام ؟

53) في نظرك، هل يتعلق الأمر بنسيان لهذا الموضوع من طرف ابن اسحاق ؟ أم أن المسألة توحي بغياب تقليد الختان تماما في حياة و محيط النبوة الأول ؟

54) هل تعلم أن "ابن هشام المعافري" - الذي توفي عام 218 ه، حوالي **200 سنة** بعد وفاة النبي - قد قام بتهذيب "سيرة ابن إسحاق" و اختصارها و حصرها فيما رآه مفيدا ؟ فهل تعلم أن ابن هشام لم يتطرق أيضا لختان النبي ؟ أو لختان أبنائه ؟

55) في نظرك، هل يتعلق الأمر أيضا بنسيان لهذا الموضوع من طرف "ابن هشام المعافري" ؟ أم أن المسألة توحي بغياب تقليد الختان تماما في حياة و محيط النبوة الأول ؟

56) لو كان الختان سنة نبوية ثابثة، و عملا نبويا معلوما و معروفا كما هو مشاع، فلم لم يستدرك "ابن هشام المعافري" على "ابن إسحاق المطلبي" هذا النسيان - إن كان الأمر يتعلق أصلا بنسيان ما ؟

57) هل اطلعت على كتاب "الروض الأنف"، لمؤلفه "عبد الرحمن أبو القاسم السهيلي"، الذي عاش بين سنتي 508 ه و 581 ه - حوالي **500 سنة** بعد وفاة الرسول الكريم ؟ و هو الكتاب الذي يعرف نفسه بكونه شرح و تفسير فقط لسيرة "ابن هشام"، التي هي بدورها، تهذيب و اختصار لسيرة "ابن اسحاق" (النص الأصلي).

58) هل تعلم أن صاحب "الروض الأنف"، وهو يفسر سيرة ابن هشام، كتب و أخبر أن الرسول محمدا ولد معذورا - أي مختونا - و مقطوع السرة ؟

59) مادام أن سيرة "ابن إسحاق" - و هو الأقرب عهدا بحياة الرسول الكريم - لم تتطرق لختانه عليه السلام، و مادام "ابن هشام" لم يخبر أبدا عن ختانه أيضا، فمن أين استقى "أبو القاسم السهيلي" - و هو يشرح سيرة السابقين - معلومة و خبر ختانه عليه السلام بعد **500 عام** عن وفاته عليه السلام ؟ ثم لماذا اهتم كتاب السيرة بخبر ختانه بعد مرور أزيد من خمسة قرون على وفاته عليه الصلاة و السلام ؟

60) كيف تمكن "السهيلي" من إضافة هاته المعلومة، عن طريق الإضافة أو الحشو، لنص أصلي لم ترد فيه بتاتا ؟

61) لنفرض جدلا أن محمدا، عليه الصلاة و السلام، ولد بالفعل مختونا. فهل ولادته مختونا تعتبر تشريعا للختان ؟ هل كان محمد زمن ولادته نبيا و رسولا حتى يعتبر ذلك الفعل من عمل النبوة أو من عمل الرسالة التشريعي ؟ هل يعتبر ختانه المفترض ذلك تشريعا للختان ؟

62) هل اطلعت على كتاب "زاد المعاد في هدي خير العباد" لمؤلفه "ابن قيم الجوزية"، الذي عاش بين سنتي 691 ه و 751 ه، بعيد حوالي **650 سنة** عن وفاة النبي عليه الصلاة و السلام ؟

63) هل تعلم أن "ابن قيم الجوزية" قد ساق في كتابه - في "فصل في ختانه عليه الصلاة و السلام" - ثلاثة أقوال مختلفة في مسألة ختانه وهي :

- أنه ولد مختونا مسرورا ،
- أنه ختن يوم شق قلبه عند مرضعته حليمة السعدية،
- أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه و صنع له مادبة و سماه محمدا ؟

64) هل تعلم أن "ابن القيم" علق على القول الأول بكونه يستند على حديث لا يصح، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في "الموضوعات" وقال أن ليس فيه حديث ثابث، مضيفا أن الولادة مختونا ليس من خواصه عليه السلام ؟

65) أما عن القول الثاني، فهل يصح أن يكون الختان قد تم بالفعل خلال عملية شق الصدر الغريبة دون أن يذكر ذلك القرآن الكريم، أو "ابن إسحاق" أو "ابن هشام" ؟ بل إن قضية شق صدره ليس بالأمر الذي ينبغي قبوله أيضا دون تحقيق و تفكير.

66) و لنفرض جدلا ان الختان قد تم خلال، أو قبيل، أو بعيد عملية شق الصدر الغريبة تلك، ألا يقتضي منا، و نحن نختن أبناءنا اقتداء بالنبي الكريم، أن نشق على صدورهم أيضا و إخراج قلوبهم من أكنتها ؟ إذ كيف يعقل أن نقطع غرلاتهم اقتداء بالنبي و لا نشق على صدورهم اتساقا مع نفس المنطق ؟

67) أما عن القول الثالث، فهل تعلم أن "ابن القيم" علق عليه، مشيرا أنه يستند إلى حديث مسند غريب، لم يكن يعرفه أحد من اهل الحديث إلا واحدا منهم و هو الملقب ب"ابن أبي السري العسقلاني"، الذي قال في حقه صاحب "سير أعلام النبلاء" انه كان من الحفاظ و كان كثير الغلط ؟

68) هل تعلم أيضا أن "ابن القيم" قد ساق، نقلا عن مصدر آخر، أنه عليه الصلاة و السلام قد يكون قد ختن على عادة العرب، و ان الختان قد كان سنة عرب ما قبل الإسلام ؟

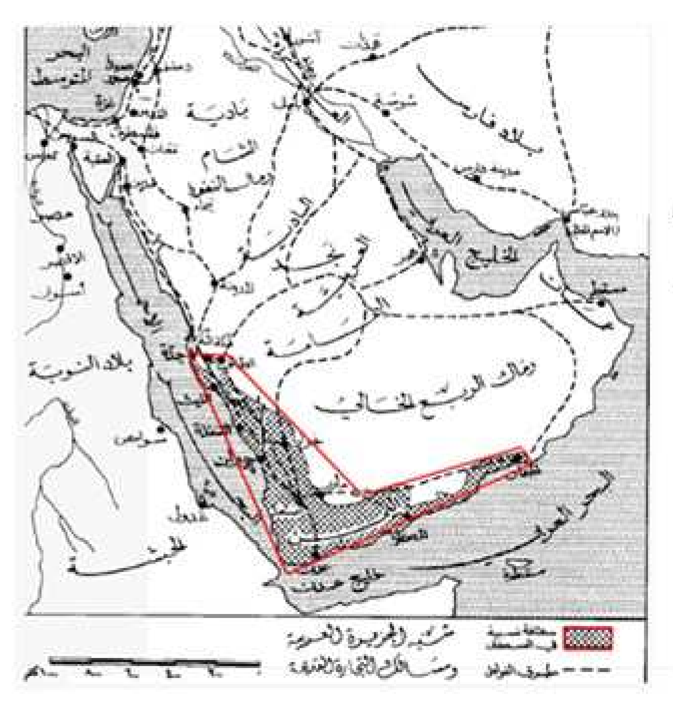
69) لنفرض جدلا أن محمدا عليه الصلاة و السلام كان قد ختن على عادة عرب الجاهلية قبل الإسلام، فهل تم قبول القرآن الكريم لتلك العادة زمن نزوله ؟ هل تمت أسلمة الختان بنص من القرآن ؟

70) إذا كانت قد تمت أسلمة الختان زمن الوحي القرآني، فما هو الدليل من القرآن الكريم على ذلك ؟

71) إن كثيرا من العبادات و القربات و الطاعات و العادات و المكارم كانت معروفة قبيل بعثة الرسول محمد عليه الصلاة و السلام، ومنها الطهارة و الصلاة و الصيام و الحج و الزكاة و الصدقة و الطواف و الركوع و السجود و السعي و الإحسان بالضعفاء و اليتامى و المساكين و غيرها. و لما نزل الوحي القرآني تبناها من جديد بعد تهذيبها و تتميمها و ترميمها و التذكير بغاياتها و بمقاصدها فأعادها بذلك إلى حظيرة الدين، بعد أن طالها التغيير و أفسدتها التقاليد. و الوحي القرآني الذي نتلوه في المصاحف قد ذكرها مرات و مرات إلا الختان، فما السبب في استثناء الختان من الذكر القرآني ؟

72) و لنفرض جدلا أن عرب ما قبل البعثة المحمدية - خصوصا في قبيلتي ثقيف و يثرب - كانوا يعرفون الختان، ألا يمكن تفسير ذلك، فقط، بكونهم تأثروا بجيرانهم المباشرين من اليهود، الذين يعتبرون الختان واجبا دينيا بنص التوراة، و علامة عهد أبدي قطعوه مع الله - كما سيأتي بيانه فيما بعد ؟

73) هل تعلم أن مصادر التاريخ العربي المعروفة، أخبرت عن حجم التواجد اليهودي في الجزيرة العربية قبيل البعثة و عن احتكاكهم - و هم أهل كتاب يختتون أطفالهم - بباقي القبائل العربية المعروفة آنذاك : قريش، بنو عتيبة، بنو الحارث بن كعب، بعض قضاعة، كندة، بنو نمير، حمير، بنو كنانة، خيبر، بنو النضير، بنو قينقاع، ... إلخ ؟ أنظر الخريطة التالية :



الخريطة توضح التواجد السكاني الكثيف للقبائل اليهودية في شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام
و يلاحظ أن اليمن و الطائف و منطقة عسير و نجران حازت على أكبر تجمع سكاني يهودي
للمزيد من المعلومات التاريخية الدقيقة في الموضوع، يرجى قراءة كتاب قيم عنوانه :
"التوراة جاءت من جزيرة العرب"
للدكتور كمال سليمان الصليبي

74) هل تعلم أن يثرب - التي سميت بالمدينة المنورة بعد الهجرة - كانت تستوطن عددا من القبائل اليهودية المهمة في الجزيرة العربية آنداك، و هي قبائل : بنو قريظة و بنو النضير و بنو قينقاع ؟

75) هل تعلم أن هاته القبائل استوطنت أرض يثرب قبل قدوم "الأوس و الخزرج" إليها (القبيلتان اللتان كونتا، فيما بعد، طائفة الأنصار بعد الهجرة) كما تشير إلى ذلك مصادر التاريخ المعروفة ؟

76) ألا يمكن أن يكون "الختان" قد انتقل من الطائفة اليهودية - أهل الكتاب - إلى بقية العرب بالاحتكاك المباشر معهم المتمثل في علاقات المصاهرة، و علاقات تبادل النفع التجاري و الفلاحي التي تمت بينهم، كما تؤكد ذلك مصادر التاريخ ؟

77) بعد هاته الجملة من الأسئلة، هل تعتقد أن النبي محمدا عليه الصلاة و السلام كان مختونا ؟ أو أنه ختن أبناءه ؟

78) هل كان بيت النبوة بيت ختان ؟



الاستمارة البحثية الخامسة :

سحر مفسري القرآن الكريم أو كيف يصير معنى "الكلمات": دما و ختانا ؟

79) هل اطلعت على أقوال بعض المفسرين الذين حاولوا تأصيل الختان من داخل القرآن الكريم رغم خلو القرآن من ذكره تماما ؟

80) هل تعلم أن القائلين بالختان يستدلون عليه بقوله تعالى :"**و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال : إني جاعلك للناس إماما. قال : و من ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين**" (البقرة - 124) ؟

81) هل تعلم أن المفسرين قد اختلفوا اختلافا كبيرا، كعادتهم، في تفسير معنى "**الكلمات**" التي بهن اختبر الله تعالى إبراهيم و التي بهن استحق مرتبة الإمامة على الناس ؟

82) هل تعلم، مثلا، أن المفسر "الحافظ بن كثير" قد أورد في تفسيره أزيد من 12 قولا مختلفا في تأويل معنى "**الكلمات**" ؟

83) هل تعلم أن ابن عباس، مثلا، فسر تلك الكلمات بقوله : الكلمات التي ابتلى الله بهن إبراهيم فأتمهن : " **فراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم. ومحاجته نمروذ في الله حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافه. وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه في الله على هول ذلك من أمرهم. والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم، وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله ، وما ابتلي به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه، فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء قال الله له : "أسلم قال أسلمت لرب العالمين" ؟**

84) هل تعلم أن ابن عباس نفسه ، فسر تلك "الكلمات" - فيما أورده الحافظ بن كثير، أيضا بقوله : " **قال : ابتلاه الله بالطهارة : خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ; في الرأس : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الرأس . وفي الجسد : تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر الغائط والبول بالماء ." ؟**

85) هل تعلم أن ابن عباس نفسه، فسر تلك "الكلمات" - فيما أورده الحافظ بن كثير، أيضا بقوله : " **قال : عشر ، ست في الإنسان ، وأربع في المشاعر . فأما التي في الإنسان : حلق العانة ، ونتف الإبط ، والختان . وكان ابن هبيرة يقول : هؤلاء الثلاثة واحدة . وتقليم الأظفار ، وقص الشارب ، والسواك ، وغسل يوم الجمعة . والأربعة التي في المشاعر : الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، والإفاضة. " ؟** (للإشارة فقط، لما أعدت الحساب وجدتهن 11 و ليس 10)

86) أيهما نختار - و على أي أساس - تفسير ابن عباس الأول ؟ أو الثاني ؟ أو الثالث ؟ ... أو الخامس و العشرون ؟ و هل كلام الله يحتمل هذا العبث التفسيري العباسي ؟

87) هل تعلم أن عبد الله بن عباس كان عمره لا يتجاوز **13 سنة فقط** لما توفي الرسول عليه الصلاة و السلام ؟

88) من أين استقى ابن عباس هاته التفاسير المختلفة و المتناقضة و الغريبة ؟ من أخبره بذلك و هل تلقى وحيا معينا يفسر معنى "الكلمات" القرآنية ؟

89) كيف أمكن لابن عباس أن يفسر "الكلمات" في مجلس ما، بقوله الوارد في نص السؤال 83 و أن يفسر في مجلس آخر، و في حضرة أناس آخرين، نفس الآية بقوله الوارد في السؤالين رقم 84 و 85 ؟

90) إذا سلمنا بتفسير ابن عباس الوارد في السؤالين 84 و85، فهل يستقيم دينا و عقلا أن يستحق إبراهيم عليه السلام درجة "**الإمامة على الناس**" فقط لأنه نجح في امتحانات: قص الشارب، و المضمضة، و الاستنشاق، و السواك، و فرق الرأس، و تقليم الأظافر، و حلق العانة، و نتف الإبط، و غسل أثر الغائط في الدبر بالماء، و غسل أثر البول بالماء في الفرج ... و الختان ؟

91) هل يستقيم عقلا أن يكون الله تبارك و تعالى، قد **اصطفى إبراهيم** عليه السلام خليلا و إماما فقط لأنه اجتاز بنجاح امتحانات تنظيف الشعر و تصفيفه، و غسل الأسنان و تبييضها، و غسل الدبر بالماء، و حز القبل بالسلاح الأبيض ؟

92) ألا يعتبر هذا "التفسير العباسي" إساءة بليغة لذات الله تعالى و لمشيئته ؟ و تقولا على الله ما لم يقله في كتابه العزيز ؟ و رجما بالغيب ؟ و إساءة لشخص نبيه و خليله إبراهيم عليه الصلاة و السلام ؟

93) هل القرآن الكريم محتاج، لأقوال بن عباس و لغيره ممن نصبوا أنفسهم مفسرين و أوصياء على كلام الله تعالى، و القرآن الكريم نفسه يقول : "**و لقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدكر ؟**" (القمر - 17) ؟ أو قوله : "**و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين**"؟

94) ألا يمكن فهم معنى تلك "الكلمات" من داخل القرآن الكريم نفسه تأملا و تدبرا و نظرا و ترتيلا؟ اقرأ و تدبر قول الله تعالى : "**... فلما بلغ معه السعي، قال : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك، فانظر ماذا ترى. قال : يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما و تله للجبين. و ناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين. إن هذا لهو البلاء المبين. و فديناه بذبح عظيم**" (الصافات 102 - 107) ؟ ألم تفصل الآيات السابقة معنى "**و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن**" ؟ ألم تقل الآيات السابقة بصيغة التأكيد : "**إن هذا لهو البلاء المبين**" ؟ ألم يبين القرآن الكريم نفسه و يفصل معناه دون حاجة إلى تفسيرات ابن عباس ؟

95) ألم يذكر القرآن الكريم نبي الله إبراهيم في حوالي **67 موضعا**، كلها لا تشير إلى "الختان"، أو إلى حلق "شعر العانة و الإبط"، أو إلى "الاستنجاء بالماء"، أو إلى بقية معنى "الكلمات" كما فسرها ابن عباس، و لكنها، حسب سياقاتها المختلفة أخبرت عن سيرة إبراهيم عليه السلام في صباه، و شبابه، و جهاده، و محاجاة قومه بالحسنى و الدليل، و بحثه ،المستنير بأنوار العقل، عن

الله و عن معاني الخلق، و تضحياته في سبيل الدفاع عن الحق، و تربية أبناءه، و بنائه لبيت الله الحرام، و دعوته الناس للحج، و كفاحه لتحريرهم من الاستعباد و الطغيان و الإفساد، و امره أهله بالصلاة و التزكية و مكارم الاخلاق ... و غيرها من السياقات القرآنية البينة التي توحي بنوع من التفرد و المثالية و الإمامة و القدوة في شخص إبراهيم عليه الصلاة و السلام ؟

96) كيف أمكن لابن عباس، و لغيره، أن ينسفوا هاته المعاني القرآنية السامية نسفا، و أن يفرضوا على الأجيال اللاحقة "سلطة" تفاسير عجيبة و غريبة ما انزل الله بها من سلطان ؟

97) كيف يمكن قبول "سجن" كلام الله المتعالي في تفسيرات ابن عباس المتأثرة ببيئة بدوية صحراوية، شحّ فيها الماء، و كثرث فيها الأوساخ، حتى خيل لابن عباس - و المفسر ابن بيئته بطبيعة الحال - أن مجرد تنظيف الشعر و تصفيفه، و غسل الأسنان، و تقليم الاظافر، و التطهر من الغائط و البول بالماء، يعتبر نجاحا باهرا، و تحقيقا إنسانيا نبويا جليلا و مثاليا، يستحق صاحبه به لقب القدوة و الإمامة على الناس ... إلى قيام الساعة ؟

98) كيف يمكن أن نقبل بتفسير ابن عباس و نجعل منه حجة و تأصيلا لختان الأطفال، اقتداء بالختان المزعوم لنبي الله إبراهيم عليه السلام ؟

99) هل تعلم أن القائلين بالختان فسروا عبارات قرآنية أخرى على نفس المنوال و بنفس منهج القص و العزل عن السياق العام و لي أعناق النصوص، فقالوا بأن معنى "**ملة إبراهيم حنيفا**" هو "الختان" ؟ و قالوا بأن معنى "**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة**" هي "الختان" أيضا ؟



الاستمارة البحثية السادسة :

الاستعانة بأحاديث الأحبار المستوردة لملء الفراغ، و خلق دين ختاني جديد ؟

100) هل اطلعت على الأحاديث المنسوبة للرسول الكريم في موضوع "الختان" ؟

101) إن كان جوابك بنعم، فهل تعتقد أن هاته الأحاديث تصلح تشريعا يوجب على الآباء ختان أبنائهم؟

102) هل كان من اختصاصات محمد صلى الله عليه و سلم أن يضيف تشريعات لم يرد ذكرها في القرآن الكريم : كتشريع "الختان" مثلا ؟

103) إن كان جوابك بنعم، كيف توفق بين جوابك و بين قول الله تعالى : "**ما على الرسول إلا البلاغ**" (المائدة - 99) أو قوله تعالى : "**فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا، إن عليك إلا البلاغ**" (الشورى - 48) أو قوله تعالى : "**قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي، هذا بصائر من ربكم و هدى ورحمة لقوم يؤمنون**" (الأعراف - 203) و غيرها من الآيات الكثيرة التي تحصر وظيفة محمد "الرسول" في تبليغ "الرسالة القرآنية الموحاة" فقط ... دون زيادة و دون نقصان ؟

104) هل كان "الرسول" الكريم يجيب قومه عن الأسئلة المتعلقة بالتشريع - وفيما لم يرد فيه حكم الله بعد - من عنده و باجتهاده الشخصي دون الاحتكام إلى القرآن و انتظار الوحي ؟

105) إن كان جوابك بنعم، كيف توفق إذن بين جوابك و جملة الآيات التي ذكرها القرآن الكريم و التي تبتدئ ب : "**و يسألونك عن ...**" أو ب "**و يستفتونك في ...**" ثم يأتي جواب الوحي القرآني موجها للرسول الكريم ب "**قل ...**" ؟ كمثل قوله تعالى : "**يسألونك عن الخمر و الميسر، قل : فيهما إثم كبير و منافع للناس و إثمهما أكبر من نفعهما**" (البقرة - 218) ... إلخ.

106) هل تعلم أن محمدا، رسول الله، لم يكن ليضيف من عنده أي شيء للوحي القرآني أو يزيد عليه؟ و أن القرآن الكريم نفسه شهد على ذلك بنوع من التشديد و التهديد الزاجر، في قوله تعالى : "**ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين، و إنه لتذكرة للمتقين، و إنا لنعلم أن منكم مكذبين، و إنه لحسرة على الكافرين، و إنه لحق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم**" (الحاقة - 44 - 50)

107) هل تعلم أن "كل الآيات" التي يستدل بها من يعتبرون "الأحاديث" - المسماة نبوية - أصولا تشريعية قد أخرجت من سياقاتها القرآنية و حملت من المعاني ما لا تحتمل ؟ أنظر مثلا قول الله تعالى : "**و ما أتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا**" (من سورة الحشر). اقرأها في سياقها الكامل، ستجد أنها تندرج في سياق الحديث عن "الفيء" - و الفيء هو ما غنمه المسلمون من أعدائهم دون قتال - و عن توزيعه بين الفقراء و المحتاجين، دون الأغنياء، مع تفضيل المهاجرين الذين تركوا أموالهم خلفهم و فروا بدينهم. و الآية تأتي في سياق نهي بعض المؤمنين عن التطلع إلى ما ليس من حقهم، و أن يرضوا و "يأخذوا" ما أعطاهم و ما "آتاهم" الرسول الكريم دون الطمع في غيره. و لك أن تقرأ الآية في سياقها لتعرف أنها لا تتكلم عن مشروعية "الأحاديث" أو عن حجية "السنة". أقرأ قول الله تعالى :" **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى**

فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب. للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوان" (الحشر- 7 - 8) ... و الله أعلم.

108) هل تعلم أن المصنف مسلم النيسابوري، أورد في صحيحه، حديثا منسوبا للرسول الكريم يقول فيه : "**لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**" (كتاب الزهد و الرقائق)؟ إذن، لو كان "حديثه النبوي" له نفس القيمة التشريعية ل"حديثه القرآني الموحى من الله" فلم ينه عن كتابته ؟

109) هل تعلم أن الدارمي - و هو شيخ البخاري بن برزويه - روى عن الصحابي أبي سعيد الخذري، أنهم استأذنوا الرسول الكريم لكتابة أقواله و أحاديثه من غير القرآن الكريم، فلم يأذن لهم؟ فلم منعهم الرسول من ذلك إذن ؟

110) هل تعلم أنه لما توفي الرسول الكريم لم يكن مع صحابته من أشياء مكتوبة غير الصحف التي تضم الوحي القرآني فقط ؟

111) هل تعلم أن البخاري بن برزويه (أو بن بردزبه) يعترف بنفسه بهاته الحقيقة في كتابه، لما يسوق خبرا رواه عن أبي رفيع الذي قال : "**دخلت انا و شداد بن معقل على ابن عباس، فقال له شداد بن معقل : أترك النبي من شيء ؟ قال ما ترك إلا ما بين الدفتين، أي القرآن في المصحف**" (البخاري - 234/6).

112) هل تعلم أن أبا بكر الصديق، كان قد جمع الصحابة بعد وفاة النبي، وخطب فيهم: "**إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه**" ("تذكرة الحفاظ" للذهبي).

113) هل تعلم أن عمر بن الخطاب كان يمنع الناس من التحديث عن النبي عليه الصلاة و السلام، و كان يعنف و يحبس و يضرب من يحدث و يروي الأحاديث عن النبي ؟ (سيأتي بيان ذلك فيما بعد من مراجعه).

114) بعد هذه الجولة، هل تعلم أن القائلين ب"الختان" يستندون في قولهم على بعض الأحاديث التي نسبت للرسول الكريم و جمعت و دونت بعد عشرات بل مئات السنين عن وفاة الرسول الكريم؟!! (سيأتي ذكرها بعد حين)

115) هل تعلم أن مالك بن أنس - الذي عاش بين 93 ه و 179 ه - و هو أول من جمع الحديث و صنف كتابه الموطأ بطلب من السلطة السياسية العباسية، متمثلة في الملك أبي جعفر المنصور،

بتأليف كتاب يكون بمثابة : "**مرجع دين الدولة العباسية الرسمي**" . بل إن ابا جعفر قد حدد لمالك منهجية الجمع مخاطبا إياه : " **يا أبا عبد الله، ضع الفقه ودوّن منه كتبا، وتجنّب شدائد عبد الله بن عمر، ورخص عبد الله بن عباس، وشوارد عبد الله بن مسعود، واقصد إلى أواسط الأمور، وما اجتمع إليه الأئمة والصحابة، لتحمل الناس إن شاء الله على عملك، وكتبك، ونبثها في الأمصار ونعهد إليهم ألا يخالفوها**" ! فألف مالك موطأه بعد حوالي **150 سنة** بعد وفاة الرسول الكريم. و لما طلب منه الملك العباسي حمل الناس على كتابه وفرضه عليهم، لم يجب طلبه، و رد عليه : " **إن الناس قد جمعوا واطلعوا على أشياء لم نطلع عليها**" كما حكى ذلك ابن كثير في "علوم الحديث" ؟ فأي مشروعية تشريعية دينية لكتاب تم تدوينه بطلب من البلاط العباسي ؟ ثم ما القيمة الدينية لشدائد عبد الله بن عمر ؟ و لرخص عبد الله بن عباس ؟و لشوارد عبد الله بن مسعود - شوارد تعني غرائب و عجائب و توافه ؟ هل كلها من الدين أو بعضها أو نصفها ؟

116) هل تعلم أن البخاري بن برزويه - الذي عاش بين 194 ه و 256 ه - بدأ بجمع الأحاديث و عمره **16 سنة فقط** و انتهى من جمعها و عمره **38 سنة** - و دون كتابه بعد حوالي **220 سنة** عن وفاة النبي الكريم ؟

117) هل تعلم أن مسلم النيسابوري - الذي عاش بين 206 ه و 261 ه - جمع و صنف كتابه في الحديث بعد حوالي **240 سنة** عن وفاة النبي الكريم ؟

118) لنفترض جدلا أن "الأحاديث" المنسوبة للنبي الكريم تمثل نصوصا تشريعية إضافية لكل ما لم يرد ذكره في القرآن الكريم - مجرد فرضية طبعا - هل يمكن التسليم لتلك الأحاديث بالصحة و الدقة و الضبط، علما أنها جمعت و كتبت و دونت في ظروف اجتماعية و سياسية عرفت فتنا كثيرة و تطاحنات و حروب شديدة، تورط فيها بعض الصحابة أنفسهم، و بعض آل البيت النبوي نفسه و بعض أزواج النبي، و دارت رحاها بين قبائل كانت تطمع في الحكم باسم السابقة و القرابة و النسب الشريف - بنو أمية و بنو علي و بنو العباس - و تسخر الدين لذلك الغرض باستغلالها جيوشا من الفقهاء و المحدثين و القصاصين الذين ساعدوها في ذلك الأمر. و انها بالإضافة إلى كل ذلك، اعتمدت على الروايات الشفهية و العنعنة - حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن أبيه عن جده عن أبيه - و كتبت بعد أزيد من **150 إلى 250** عام عن وفاة النبي الكريم ؟

119) هل يستقيم، عقلا، أن تصمد أقوال منسوبة للنبي الكريم، تناقلها الناس شفاهة و رواية، باختلاف ثقافاتهم و مستوياتهم و ألسنتهم بعد مقتل عمر بن الخطاب - 12 سنة بعد وفاة النبي الكريم - الذي كان يمنع التحديث ورواية الاخبار الخارجة عن نطاق القرآن الكريم، امتثالا لأمر القرآن باجتناب سبل الضلال و التضليل، و اقتداء بأمر النبي نفسه، الذي نهى عن كتابة و تدوين غير القرآن الكريم، و تأسيا بسلوك الخليفة أبي بكر الصديق الذي كان يمنع أيضا التحديث، كما سبق التذكير بذلك ؟

120) هل يمكن أن تصمد تلك الأقوال تلك المدة الطويلة جدا، ضد عوامل الزيادة و الوضع و سوء الفهم و سوء النقل و التحريف و التزييف المتعمد أيضا ؟

121) هل تعلم أن القرون الثلاثة الأولى بعد وفاة النبي الكريم، عرفت حركة اختلاق و اختراع و وضع لمئات الآلاف من "الأحاديث" الكاذبة و الغريبة التي نسبت زورا و بهتانا للنبي الكريم، و اخترقت كتب السيرة و العقائد و التفاسير و التاريخ و الأحاديث و الفقه و الأدب و غيرها ؟

122) هل اطلعت، مثلا، على كتب و أبحاث عن الحركة "السبئية" - نسبة إلى اليهودي اليمني الذي أعلن إسلامه زمان خلافة عثمان ابن عفان، و الذي يعتبره الكثيرون واحدا ممن دبروا مقتل عثمان و خلق الفتنة الكبرى - و خصوصا عن أثر تلك الحركة في اختلاق الروايات و الأحاديث المنسوبة للنبي الكريم ؟

123) هل اطلعت، مثلا، على كتب و ابحاث عن الحركة "الشعوبية" ، تلك الحركة التي ظهرت بوادرها خلال الحكم الأموي، كرد فعل انتقامي من طرف بعض الأفراد و الجماعات المنحدرين من بلاد الفرس - و منها بخارى بلدة البخاري - الملحقة بالقوة بالإمبراطورية الأموية آنداك، وما نتج عن ذلك من احساس بالذل و الهوان من طرف هؤلاء الأفراد، الذين أعتبرهم السلطة السياسية المركزي مجرد "موالي" ناقصي الحقوق، فانتظموا في حركات "شعوبية" و "صفوية" اتخذت من المساواة مع بقية المسلمين العرب شعارا، لكنها غالبا ما مالت لنزعات عنصرية، متوسلة بوسائل تنشر كراهية كل ما هو "عربي"، إنسانا، أو أدبا أو شعرا أو تاريخا ... أو حتى دينا ؟

124) هل تعلم أن هاته الحركات "الشعوبية" اتخذت، في البداية، من الشعر وسيلة أدبية لنشر أفكارها، هجاء و نقدا و تشهيرا بكل ما هو عربي ؟ و كان من رواد هذا الاتجاه الأدبي "الهيثم بن عدي"، الذي أورد في حقه "الإمام الذهبي" في "سير أعلام النبلاء" قولا لطيفا : " **... قالت جارية الهيثم بن عدي : كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي ، فإذا أصبح جلس يكذب**" ، أناس تظاهروا بالصلاح لحاجة في نفوسهم، و هي الطعن و التزوير و التحقير للعرب الغزاة المستعمرين و لكل ما يمت لهم بصلة ؟

125) هل اطلعت، مثلا، على كتب و أبحاث أخرى توضح دور الحركة "الشعوبية" في اختلاق "الأحاديث" المسيئ بعضها لله و للدين و للنبي ... و التي شوشت، و لا تزال، على روح و مقصد و طبيعة الخطاب القرآني، بالكذب و التلفيق و الإغراق في التفاصيل حتى ضاع المعنى و خلق الاختلاف و التناقض في الدين و نتج التفرق شيعا، كل حزب بما لديهم من "أحاديث" فرحون متناحرون. كما هو واقع اليوم هنا و هناك حيث القاعدة و داعش و النصرة و بوكو بوكو حرام ؟

126) هل تعلم أن الدكتور أحمد صبحي منصور - و هو خريج و أستاذ سابق في جامعة الأزهر الشريف - قد كتب كتابا عنونه ب : "**القرآن الكريم و كفى مصدرا للتشريع**" و ختمه بفصل عن : "الحركة الشعوبية و الاحاديث السنية" بين فيه أن البخاري بن برزويه - و قد كان في الأصل مجوسيا - كان من أحد اخطر "الشعوبيين" المنحدرين من بخارى بأوزبكستان الحالية، ليس على العرب فقط، و لكن على الدين القرآني بأكمله، بخلقه لكتاب ثان أسماه "الجامع الصحيح" و هو

الكتاب الذي يعتبره "أهل السنة و الجماعة" أصح كتاب بعد كتاب الله و يقدسونه تقديسا ؟ هل اطلعت على هذا البحث الموثق بالشواهد من كتاب البخاري نفسه ؟

عذرا، سأفتح قوسا و أسده بعد حين :

127) هل تعلم مثلا أن البخاري المقدس قد أساء لشخص النبي عليه السلام و لمزه في أحاديث منسوبة إليه، تروي تفاصيل عن حياته الجنسية، مثل قول البخاري : "**حدثنا أنس بن مالك قال :كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، قال: قلت: لأنس أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين، وقال سعيد عن قتادة: إن أنسا حدثهم تسع نسوة** " (البخاري - رقم 269) ؟ من أين لأنس بن مالك أن يعرف أن النبي كان يجامع زوجاته الإحدى عشر في الساعة الواحدة، الواحدة تلو الأخرى، بمعدل **6 دقائق تقريبا للعلاقة الجنسية** ؟ هل أخبره النبي بذلك ؟ أم كان حاضرا ؟ ثم ما القيمة الدينية لهذا الحديث ؟ ما قيمته المعرفية حتى يورده البخاري في مصنفه و يجعله البعض دينا مقدسا ؟ ألا يعتبر ذلك إساءة و تصويرا فظيعا و فضحا مغرضا لحياة النبي الجنسية تجعل منه متلهفا للجماع و لمضاجعة النساء، الواحدة تلو الاخرى ؟ هل تقبل أن يصف أحد أباك بذاك الوصف ؟ هل تقبل أن يصفك أحد بذاك الوصف و يجعل تفاصيل حياتك الجنسية مع زوجتك منشورة و مفضوحة امام أنظار العالمين ؟ هل ترضى أن يكون هذا النص من دين الله تعالى ؟

128) هل اطلعت على جملة من "الأحاديث"، المبثوثة هنا و هناك في الكتب الحديثية المقدسة، أن النبي عليه الصلاة و السلام "**كان يباشر عائشة أم المؤمنين وهي حائض**" (البخاري - 602)، "**وأنه كان يقبّلها ويمص لسانها وهو صائم**" (سنن أبي داود - 312)، "**وأنه كان يغتسل معها في إناء واحد**" (البخاري - 102)، "**وأنها كانت تحك المني من ثوبه**" (مسلم - 204)، "**وأنه كان يجامعها من غير إنزال أحياناً فيغتسل**" (مسلم - 272)، "**وأنها كانت تكشف له عن فخذها وهي حائض، فيضع خدّه و صدره على فخذها، فتحني عليه فينام**" (أبو داود - 70) ؟ و غيرها من "الأحاديث" التي تصور لنا نبيا همه الجنس و النساء، و كأن الحديث ليس عن نبي بل عن احد ممثلي الأفلام الغرامية البورنوغرافية، لا يبالي بنواهي القرآن الكريم نفسه، الذي يحرم مجامعة الحائض، و لايبالي بصيامه حين يقبلها و يمص لسانها، و غيرها من التصويرات و الإيحاءات المغرضة، التي تتغيى إلصاق سلوكات بعينها بشخص النبي ضربا لمصداقيته و إساءة بالغة لشخصه الكريم ؟ هل توافق على هذا الكلام؟

129) هل تعلم أن البخاري اتهم النبي الكريم بعلاقة صداقة حميمية مع امرأة تدعى "**أم حرام بنت ملحان**". إذ يروي البخاري في مواضع عدة في مصنفه، و بدس تفاصيل معينة، كيف أن النبي الكريم كان يزور هاته المرأة "المتزوجة" من عبادة بن الصامت - و يخلو بها و هي ليست من محارمه - قد يحاول بعض المسحورين اعتبارها خالة له من الرضاعة أو النسب و لكن هيهات أن يستطيعوا الإتيان بدليل واحد مقبول في غياب كناش الحالة المدنية، حتى إن بعضهم اعتبرها خالة لجده عبد المطلب الذي مات و النبي مايزال طفلا - المهم، إن البخاري يزعم أن **النبي الكريم كان يخلو بأم حرام، في غياب زوجها، فتطعمه و تسقيه، و يضع رأسه على "فخذها" و ينام**

في حضنها، **و هي تفلي له رأسه** - بحثا عن القمل ربما، و في ذلك إشارة لطيفة إلى نظافة شعر النبي - ثم يستيقظ و يبتسم، و يروي لها رؤيا غزاة البحر، و يدعو الله لها ان تكون منهم. و بذلك، استطاع البخاري أن يلصق بالنبي **تهمة الخلوة مع الأجنبية المتزوجة في غياب زوجها**، بل و **وضع رأسه على فخدها لتفلي رأسه** - تصوروا معي اللقطة - **و ينام و هو على تلك الحال** ؟ ماذا أراد البخاري من وراء هذا الحديث ؟ كيف تقبل أن تكون تلك الخلوات المتكررة قد وقعت بالفعل من نبي حرم على أتباعه الدخول على النساء في حديث متفق عليه، رواه عقبة بن عامر : "**إياكم و الدخول على النساء**" ؟ انبته عزيزي القارئ إلى إيحاءات الإسم الذي اختاره البخاري لهاته المرأة "**أم حرام بنت ملحان**"، ستجد كلمتين دلاليتين غير بريئتي الاستعمال هنا : كلمة "**حرام**" التي لا تحتاج إلى زيادة شرح، فالحلال بين و الحرام بين، و كلمة "**ملحان**" و هي صيغة مبالغة على وزن "**فعلان**" - من جذر (م، ل، ح) - و الذي يعني شديد الجمال و الوسامة و جد مليح ؟ هل يريد البخاري أن يقنعنا أن النبي قد خلى بحرام جميل جدا ؟ أو أنه ارتكب حراما، لكنه جميل جدا؟ أم ماذا ؟ انتبه أيها القارئ، إن القصة مشحونة بالإيحاءات الجنسية غير البريئة : تصور النبي محمدا يضع رأسه الشريف، في حجر و فوق فخذ امرأة جميلة، متزوجة و ليست من محارمه و في غياب زوجها، و في غرفتها و هما وحيدين، و ينام على تلك الحالة و هي تفلي له رأسه، حاول فقط أن تتصور نفسك أنت على تلك الحالة ؟ اغمض عينيك لثوان و تصور نفسك في نفس الوضع و أنت تستشعر دفء و حرارة فخذي تلك المرأة الاجنبية الجميلة يصعد مع وجنتيك ليصل إلى دماغك، و أناملها الرقيقة تفلي شعر رأسك، استمع لدقات قلبك و دقق النظر جيدا في الصور التي سترسم في ذهنك، تحسس الآن شعر رأسك و تخيل أن أنامل تلك المرأة الرقيقة تلمسه و ليست أصابع يدك، افتح عينيك و حاول فهم مقصود البخاري ؟ استفق عزيزي من غفوتك القصيرة و فكر في النص و في القيمة الدينية و المعرفية لهذا الحديث ؟ ما رأيك ؟

130) هل تعلم أن البخاري كشف عن "عورات" النبي و أنبياء آخرين في صحيحه المزعوم ؟ انظر مثلا حديثه و هو يخبر عن **كشف عورة النبي الكريم و عن فخذه التي كانت تلمس ركبة أنس بن مالك وهما رديفان** (البخاري - 358). اقرأ ما كتبه البخاري عن **عري النبي يوم كان ينقل الحجارة إلى الكعبة مع عمه العباس فسقط عنه ثوبه فرئي "عريانا" للعيان** (البخاري - 351). و حديثه عن **اغتسال موسى "عريانا" و قد وضع ثوبه على حجر فهرب الثوب بالحجر، فتبعه موسى يجري و في يده عصاه، فرآه بنو إسرائيل "عريانا" فبدأ موسى في ضرب الحجر لتعنيفه و تأديبه حتى أن الحجر من أثر التعذيب أنينا** - القصة في البخاري و ليست من نسج مؤلف للرسوم المتحركة - اقرأ مثلا حديثه عن **نبي الله أيوب و هو يغتسل "عريانا" فخر عليه جراد من ذهب** - انتبه جيدا : إنه جراد من ذهب و ليس من البلاستيك - ماذا يريد البخاري من هاته التصويرات المسيئة للأنبياء و التي تظهرهم في مشاهد "العري" أمام الملأ ؟ ما القيمة الدينية و المعرفية لتلك الأحاديث التي ينسبها دون خجل أو وجل إلى النبي الكريم ؟ هل تصدق أن النبي روى لأصحابه روايات عن عورات الانبياء السابقين ؟ هل تؤمن بذلك ؟

131) هل تعلم أن البخاري أساء إساءات أخرى للأنبياء آخرين لا يتسع المقام لذكرها كاملة، ومنها : **أن إبراهيم النبي الصديق كما وصفه القرآن، يكذب ثلاث مرات** (البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء) - انتبه : النبي إبراهيم خليل الله قد كذب ثلاث مرات، لكن البخاري و الرواة عدول

منزهون عن الكذب - و منها : **النبي موسى يتعارك مع ملك الموت، فتنتهي المواجهة بانتصار موسى على ملك الموت حيث فقأ موسى عين ملك الموت فصيره أعورا** (البخاري - 3226) - اعتقد مازحا، كالبخاري تماما، أن عددا من الناس ماتوا بالخطا للتشابه في الجسم نظرا لعور عزرائيل - أو نسبه للنبي الكريم حديثا عن **سيرة النبي سليمان بن داود عليه السلام، الذي استعمل "جهاد النكاح" ضد الأعداء، حين جامع و نكح في ليلة واحدة 70 امرأة، بمعدل 6 دقائق للمجامعة** - بدون أقراص فياجرا - **لكنه نسي أن يقول "إن شاء الله"، فما ولدت له النساء 70 جنديا كما كان مفترضا، إلا امرأة واحدة ولدت له نصف فارس** (البخاري - 3242) ... إلخ. حاول عزيزي تخيل صورة "نصف فارس" لترى أن البخاري ضحك على ذقون أهل السنة و الجماعة الملتحية و لا يزال، بنصف عقل فقط. ما قيمة تلك الأخبار المنسوبة لنبي كريم كان خلقه القرآن ؟ هل تصدق أن النبي كان يحكي لأصحابه، بين الصلوات المكتوبة، الأخبار "الجنسية الساخنة جدا" عن إخوانه من الانبياء و المرسلين عليهم الصلاة و السلام ؟ هل تصدق أن تلك الاحاديث الواردة في كتب الصحاح المزعومة قد خرجت من مشكاة النبوة و أنها ينبوع الأخلاق العالية و الذوق النبوي الرفيع؟

و حتى أسد القوس :

132) هل تعلم أن البخاري صور في كتابه النبي الكريم في صورة رجل متلهف للنساء، للاستمتاع بهن و إن اقتضى الأمراغتصبهن اغتصابا. تمعن في حديثه رقم 3453 حين يزعم : " **حَدَّثَنَا رقم 1 عن رقم 2 عن رقم 3 عن رقم 4 عن رقم 5 عن رقم 6 عن رقم 7 عن 8 رقم : قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ لَهُ الشَّوْطُ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ، فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا فقال النَّبِيُّ: اجْلِسُوا هَا هُنَا. وَدَخَلَ وَقَدْ أُتِيَ بِالْجَوْنِيَّةِ فَأُنْزِلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلٍ فِي بَيْتِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَاحِيلَ، وَمَعَهَا دَايَتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ قَالَ هَبِي نَفْسَكِ لِي، قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ؟ قَالَ فَأَهْوَى بِيَدِهِ، يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ، فقالتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. فقال: قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فقال: يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا**". هيه هيه هيه، نبي الرحمة، كان خلقه القرآن، قال في حقه القرآن الكريم : "**و إنك لعلى خلق عظيم**"، الزاهد، الأمين، الصادق، الورع، أسوة العالمين، الحليم، الرفيق ... يصوره لنا البخاري في صورة المغتصب، الشهواني، المتعطش للجنس و النساء. نبي الله يخلو بامرأة أجنبية في الوقت الذي يحرم على اتباعه الخلوة بالأجنبية، في حديث متفق عليه رواه الحبر بن عباس : "**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**". ثم لماذا يضيف البخاري : "**يا أبا أسيد اكسها رازقتين و الحقها بأهلها**" ؟ ألأنه يريد أن يوهمنا أن النبي قد مزق ثيابها و رداءها من شدة الهيجان الجنسي و كشف عن جسدها الفاتن من شدة الفوران ؟ أم لشيء آخر ؟ يا أيها العقل المسلم، هل تقبل أن يكون نبيك محمدا كما صوره البخاري بمنطوق نصوصه و إيحاءاتها ؟ كيف تقدس كتاب البخاري و تجعل منه دينا فوق المراجعة و النقد و هو مليء بما لا يتسع المقام هنا لسرده و التعليق عليه ؟

133) هل يخدم البخاري الدين بهذه الاخبار المدسوسة و المنسوبة للنبي الكريم ؟ أم يهدم الدين هدما ذكيا جدا، كغيره من الشعوبيين، يجعل المسلمين أنفسهم يخربون دينهم و بيوتهم بأيديهم و أيدي

الناس و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا ؟ هل كان هم البخاري خدمة دين تمت كلماته، و لم يكن أصلا بحاجة إليه، أم كان همه دس كثير من السم في كثير من العسل، و إضفاء صبغة القدسية على ذلك ؟ بعد كل ما ذكر، و هو شيء قليل جدا مما يضمه كتابه، و كل كتب الحديث، من الترهات و صور العيب و العار و الدسائس، هل كان البخاري كما يصوره لنا جمهور انصاره و أتباعه و عبيده ناصرا للدين أم أنه كان فقط شعوبيا حاقدا قد شوش على خطاب القرآن بخلق خطاب آخر مواز، و دين آخر، نسبه كذبا وبهتانا للنبي الكريم ؟

134) سيقول البعض : "طيب ... نعترف أنه ليس كل ما في البخاري صحيح و لا غبار أو بخار عليه"، و سيعترفون أيضا أنه ينبغي "تنقية" و "تصحيح" كتاب البخاري من كل تلك الأخبار المكذوبة، لكن على أي معيار سيعتمدون ؟ كيف سنقول أن هذا الحديث "نبوي صحيح" و ان هذا الحديث "بخاري و موضوع و مدسوس"؟ كيف تتق فيمن كذب على نبيك و أساء له ؟ هل تتق فيمن كذب على أبيك و أساء له إساءة بالغة ؟

135) على أي معيار سنعتمد في تفنيد و إلغاء "الأحاديث" المسيئة مثلا للأنبياء ؟ و على أي أساس سنقرر الاحتفاظ بتلك الأحاديث المشرعة ل"الختان" و لغيره مما لم يأت ذكره في القرآن الكريم ؟

136) ألم يكن أبو بكر الصديق محقا حين جمع الصحابة بعد وفاة النبي، وخطب فيهم: "**إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه**" ؟

137) هل تعلم أن القائلين بالختان، يستندون في قولهم بذلك على "حديث" رواه البخاري عن "أبي هريرة" جاء فيه : " **الْفِطْرَةُ خَمْسٌ أَوْ خَمْسٌ مِنْ الْفِطْرَةِ : الْخِتَانُ و الِاسْتِحْدَادُ وَنَتْفُ الْإِبْطِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَقَصُّ الشَّارِبِ**" (البخاري - كتاب اللباس) ؟

138) هل تعلم أن القائلين بالختان، يستندون أيضا في قولهم بذلك على "حديث" رواه البخاري عن "أبي هريرة" جاء فيه : " **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقَدُّومِ**" (البخاري - 3187) ؟

139) من أخبر النبي عليه الصلاة و السلام أن إبراهيم عليه السلام اختتن و عمره ثمانون عاما بالقدوم (إسم آلة أو إسم مكان) ؟ هل تلقى النبي ذلك الخبر وحيا قرآنيا أم ماذا ؟ للتذكير فقط، القرآن الكريم لم يذكر أبدا هذه الحادثة و لا أي شيء من تفاصيلها ؟ فمن أين للنبي الكريم أن يضطلع على أمر غيبي كهذا ؟

140) سبق و أن أشرت إلى أنه لا يوجد دليل مقبول يخص ختان النبي أو ختان أبنائه ... فكيف يستقيم أن يعتبر النبي الختان سنة من سنن الفطرة و نحن لا نعلم عن ختانه أو عن ختان ابنائه شيئا ؟ ألا يقتضي أمر كهذا ان يعطي النبي القدوة و الأسوة من نفسه و من أبنائه ؟

141) هل تعلم شيئا عن "أبي هريرة" الذي روى جل أحاديث البخاري عن "الختان" ؟

142) هل اطلعت على ما كتبه "البخاري" نفسه في حق "أبي هريرة" من كونه كان مكثرا من الرواية و أن بعض الصحابة و بعض أزواج النبي اتهموه بالإكثار ؟

143) هل اطلعت على اعترافات "أبي هريرة" نفسه من أنه كان متهما بالإكثار رواية عن نبي الله و بالانفراد بروايات غريبة لم يسمعها أحد، بما فيهم زوجات النبي، إلا هو ؟

144) تأمل الاعترافات التالية على لسان أبي هريرة نفسه : "**إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة**" (البخاري - 104) و اعترافه : "**إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم**" (البخاري - 1906) و اعترافه : "**إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه و سلم**" (البخاري - 6807) ... إلخ ؟

145) تأمل كيف يعترف أبو هريرة بنفسه باختلاف رواياته، عن روايات بقية الصحابة من المهاجرين و الأنصار : "**وتقولون ما بال المهاجرين و الأنصار لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه و سلم بمثل حديث أبي هريرة**" (البخاري - 1906) و قوله : "**و يقولون ما للمهاجرين و الأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه**" (البخاري - 2179) ؟

146) ألا يعني ذلك أن "أبا هريرة" كان متهما في زمانه بالاكثار، و بالروايات التي لم يسمعها من نبي الله إلا هو ؟ كيف تنظر و تقيم تلك الاتهامات التي نجدها عند البخاري، و مسلم، و أحمد بن حنبل و غيرهم ؟

147) هل تعلم أن "أبا هريرة" قد رد على الاتهامات بالإكثار من "الرواية" على رسول الله بإضافة روايات أخرى أغرب من الغرابة، و كان كمن يريد إطفاء النار بالبنزين ؟

148) هل تعلم أن "أبا هريرة" قد علل إكثاره للحديث بملازمته للنبي الكريم حين غاب الآخرون - صحابته و أزواجه ؟ هل تعلم انه لا توجد رواية واحدة أو شهادة واحدة لصحابي، او لزوجة من أزواج النبي، تؤكد هذه الملازمة أو تضفي عليها مصداقية ما ؟ كل ما في الأمر أن "أبا هريرة" يؤكد أنه كان ملازما للرسول الكريم حين غاب الآخرون، و الدليل، هو رواية أخرى ل "أبي هريرة" يشهد فيها على نفسه بهذه الملازمة ؟ هل يمكن أن نقبل هذا الدليل الذي ليس بدليل ؟ تخيل أن قاض في محكمة ما يتهم شخصا بارتكاب جريمة معينة، لكن الشخص ينفي وجوده في مكان الجريمة وقت حدوثها، فيطلب القاضي دليلا على ذلك، فيجيبه المتهم : دليلي، سيدي القاضي، هو قولي بأنني لم أكن حاضرا ... و يكفي ذلك دليلا ؟ هل سيقبل القاضي هذا الدليل ؟ و انت هل تقبل روايات "أبي هريرة" التي تؤكد ملازمة أبي "هريرة" لرسول الله ؟

149) هل تعلم أن "أبا هريرة" رد على عائشة رضي الله عنها، حين اتهمته برواية أحاديث غريبة لم تسمعها أبدا من رسول الله، زوجها، قائلا (و القول هنا لأبي هريرة) : "**يا أمه، طلبتها - أي**

الأحاديث - و شغلك عنها المرود و المكحلة " (الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني - ج 7 ص 440) ؟ هل تتصور أن عائشة و أزواج النبي الأخريات كن يجهلن أمورا عن رسول الله ما كان يعلمها إلا "أبا هريرة" ؟ ألا تجد في كلام "ابي هريرة" سوء ادب مع أم المؤمنين عائشة ؟

150) هل تعلم أن "أبا هريرة" كان متهما بالتدليس حين ينسب أحاديث غريبة عن نبي الله تعالى ؟ هل تعلم، مثلا، أنه نسب قولا للنبي الكريم : "**من أدركه الصبح و هو جنب فلا يصومن أبدا**" (مسند احمد بن حنبل - 24627) ؟ هل تعلم أن عائشة و أم سلمة خالفاه في زعمه السابق : "**عن عائشة قالت : أشهد على رسول الله أنه كان ليصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يصومه، ثم دخلنا على أم سلمة فقالت مثل ذلك**" (البخاري - 1795) ؟ ألم يدلس "أبو هريرة" على النبي في هذا الحديث ؟ ألم يكذب عليه ؟ ألم يقوله ما لم يقل ؟ من الأقرب إلى الرسول الكريم و الأعلم بأحواله الشخصية، أزواجه ؟ أم "أبو هريرة" ؟

151) هل اطلعت على كتب تناقش سيرة و حياة "أبي هريرة"، بناء على ما أثبتته مراجع و كتب الحديث و التاريخ و السير ؟ هل قرأت مثلا الكتابين المركزين و الموثقين اللذين ألفهما في الموضوع، الدكتور الفقيه الأزهري "محمود أبو رية" - الذي عاش بين 1889 م و 1970 م - و هما : "أضواء على السنة النبوية" و كتابه "أبو هريرة شيخ المضيرة" ؟

152) هل اطلعت على كتاب مركز و مختصر و موثق للدكتور المغربي "المصطفى بوهندي"، أستاذ الأديان بجامعة الحسن الثاني، المعنون ب " **أكثر أبو هريرة**" ؟

153) هل تعلم أن تلك الدرسات و الأبحاث تثبث، بالأدلة المتعددة و المتواترة و الموثقة، أن "أبا هريرة" قد أسلم بأشهر قليلة قبيل وفاة الرسول الكريم ؟ هل تعلم أن المدة القصوى التي يمكن أن يكون قد التقى فيها "أبو هريرة" برسول الله عليه الصلاة و السلام، لا تتعدى، على أبعد تقدير، بضعة أشهر ؟ هل تعلم أن دراسات أخرى تذهب إلى القول بأن إسلام "أبي هريرة" إنما حصل خلال خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟

154) إذا كان الأمر كذلك، فكيف نثق بشخص لم يلتق بالرسول الكريم و لم يلازمه كما يدعي هو بنفسه ؟ كيف نعتبر أخباره أخبارا و أحاديث صحيحة قالها الرسول الكريم ؟

155) كيف نقبل بأن يبنى الدين و جزء كبير منه، على أحاديث و اقوال شخص مجهول السيرة، مجهول الأصل، مجهول النسب، لم يعرفه أحد، و ينكر عليه الكثيرون، ممن عاشروا رسول الله نفسه، أقواله و رواياته الكثيرة التي فاقت كل ما رواه الصحابة الأوائل من المهاجرين و الانصار؟ للإشارة فقط، فلقد روى "أبو هريرة" لوحده ما بين **5347** و **8740** حديثا في حين لم يروى عن أبي بكر الصديق، صاحب رسول الله خلال 23 سنة، إلا **124** حديثا، و عن عمر بن الخطاب إلا **50** حديثا، و عن عثمان بن عفان إلا **5** أحاديث، و عن علي بن أي طالب إلا **58** حديثا، و عن عبد الرحمن بن عوف إلا **9** أحاديث في البخاري و حديث **واحد** في مسلم ؟

156) إذا كان "أبو هريرة" كما يصف نفسه في مدونة البخاري، "يحفظ و لاينسى"، و "يلازم الرسول على شبع بطنه"، حين يتلهى الصحابة بتجارتهم و فلاحتهم، و حين تتلهى أم المؤمنين عائشة "بمكحلها و مرودها"، فلم يا ترى لم يحفظ لنا و لم يرو لنا "**خطب جمعات**" رسول الله التي قد يفوق عددها الإجمالي **200 خطبة** ؟ لم لم يرو لنا "**خطبة حجة الوداع**" في السنة العاشرة للهجرة ؟ هل كان مع جماهير الحجيج أم لم يكن حاضرا ؟ لم لم يرو لنا تفاصيل لحظات وفاة الرسول الكريم و تغسيله و دفنه ؟ أين كان مختبئا ؟ ما بالنا لا نجد، كما سبق به السؤال، نص أي "خطبة نبوية" رواها الحافظ الضابط "أبو هريرة" ؟ هل خانته الذاكرة ؟ أم لم يكن حاضرا بكل بساطة ؟ ما رأيك في هاته الأسئلة المشروعة ؟

157) هل تعلم أسماء بعض أسماء شيوخ و أساتذة "أبي هريرة" ؟ هل تعرف عنهم شيئا ؟

158) هل تعلم أن أهم أساتذة و شيوخ "أبي هريرة" هو الحبر اليهودي الملقب ب "**كعب الأحبار**" الذي أسلم - أو أظهر إسلامه - زمن خلافة عمر بن الخطاب ؟ هل تعلم أن "أبو هريرة" يعترف بهاته العلاقة مع كعب بل و بسفره إلى الشام لملاقاة كعب الاحبار ؟

159) هل اطلعت على هاته الرواية في موطأ مالك بن انس على لسان "ابي هريرة" : "**خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحبار، فجلست معه فحدثني عن التوراة و حدثته عن رسول الله**" (الموطأ - 222) ؟

160) هل اطلعت على قول "أبي هريرة" الوارد في مسند أحمد بن حنبل و الذي جاء فيه : "**قدمت إلى الشام فلقيت كعبا فكان يحدثني عن التوراة و احدثه عن رسول الله**" (مسند احمد - باقي مسند الانصار - 22675) ؟

161) ما الذي جعل "أبا هريرة" يهاجر إلى الشام - جبل الطور، كما فعل نبي الله موسى - لملاقاة كعب الأحبار (للإشارة فجبل الطور يبعد عن مكة المكرمة ب 2300 كلم تقريبا)؟ ما طبيعة "**العلم**" الذي تلقاه من كعب، الحبر العالم بنصوص التوراة ؟ ما مصير هذا "العلم التوراتي" الذي تلقاه "أبو هريرة" من كعب الأحبار ؟ أين تم استثماره ؟ و هل تم إدماجه في الدين دمجا عن طريق "رواية الأحاديث و نسبتها" كذبا و زورا للنبي الكريم؟ ما رأيك ؟

162) هل تعلم أن الحافظ الذهبي ساق رواية في "سير أعلام النبلاء" منسوبة لكعب يقول فيها : " **ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة** " (أعلام النبلاء - ج2 - ص 432) ؟ كيف امكن لأبي هريرة أن يعلم بالتوراة ؟ هل يمكن إرجاع ذلك إلى انحداره من اليمن حيث التواجد اليهودي الكثيف ؟ أم راجع إلى تلقي التوراة من فم كعب الأحبار في "جبل الطور" أو من فم "عبد الله بن سلام" أو من أحبار آخرين ؟ ألا يمكن أن يكون أبو هريرة - و هو المجهول النسب بشهادة المؤرخين أنفسهم - يهوديا قد اخفى عن معاصريه يهوديته و علمه بالتوراة - مجرد تخمين ؟

163) هل اطلعت على ما أورده "الحافظ الذهبي" : " **عن بسر بن سعد : لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و يحدثنا عن كعب، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، و يجعل حديث كعب عن رسول الله**" (سير أعلام النبلاء - ج 2 - ص436)؟ م تلك الاحاديث الذي اختلطت نسبتها على الناس، فنسبوها للنبي الكريم عوض نسبتها للتوراتي كعب الأحبار ؟ و هل "الختان" من هاته الأحاديث المكذوبة ام لا ؟

164) هل اطلعت على سيرة كعب الأحبار ؟ هل درست تاريخه ؟ و أسباب تأخر إسلامه المزعوم إلى خلافة عمر ؟ و ضلوعه المحتمل جدا في حادث اغتيال الفاروق عمر بن الخطاب ؟ و آثاره و تأثيراته في الحديث و التاريخ و التفاسير و غيرها ؟

165) هل اطلعت على أطروحة الدكتوراه التي كتبها الدكتور "**إسرائيل ويلفنسون أبو ذؤيب**" - يهودي فلسطيني و أستاذ اللغات السامية بدار العلوم و الجامعة المصرية - عن سيرة "**كعب الأحبار**" و عن تأثيراته المباشرة في رواة الأحاديث و المفسرين و الفقهاء و المسلمين عامة؟

166) اقرأ من فضلك ما كتبه في الصفحة 54 من كتابه "**كعب الأحبار**" : "**يعد كعب الأحبار في نظرنا أعظم من اعتنق الإسلام شأنا في القرن الأول للهجرة من اليهود و أقواهم أثرا في المحيط الجديد الذي اختاره لنفسه**" ! ما رأيك ؟

167) اقرأ من فضلك ما كتبه - بعد أن أبدى رأيه في اعتناق يهود آخرين الإسلام، و هم "عبد الله بن سلام" و "وهب بن منبه" و "عبد الله بن سبأ" حيث يقول : "**و قد كانوا جميعا من أصل يهودي يعلنون بعضهم يهوديتهم القديمة أو يسكت عن شعوره تجاهها، بينما هم لم يستطيعوا أن ينسلخوا تماما من تراثهم الديني القديم، او يتجردوا من طابعهم القومي الأصيل**" ... ثم يضيف في نفس الصفحة قائلا : "**أما كعب الأحبار فقد كان يهوديا من المهد إلى اللحد، فقد تشبع بالعقلية اليهودية، حتى برزت فيه هذه النحلة بروزا لم ير مثله عند غيره مسلمة اليهود**" ! ما رأيك ؟

168) اقرأ أيضا كيف يقيم الدكتور "إسرائيل أبو ذؤيب" - العارف بالدين اليهودي و بالتوراة - سلوك كعب الأحبار قائلا : "**فقد كان بعد إسلامه كانه لم يترك دين اجداده لأنه كان ينظر إلى الإسلام بالعين اليهودية، و يحل جميع ما يعرض له من المشاكل الدينية الإسلامية بعد أن يغوص في الآداب اليهودية**" (ص 54 - 55) ! ما رأيك ؟

169) اقرأ أيضا، و الكلام للمؤلف : "**و لم يخف كعب يهوديته، ولم يحمل عليه أحد بسبب ذلك بل كان في إسلامه يحمل التوراة، و يتلو ما ورد فيها و في التلموذ، امام الجموع الحافلة في المساجد و في مجلس الخليفة نفسه**" (ص 55) ! ما رأيك ؟

170) اقرأ أيضا، و الكلام للمؤلف : "**و كان كعب يشرح بعض للآيات القرآنية العويصة بقصص من التوراة و أسفار الكتاب المقدس و قصص التلموذ**" (ص 56) ! ما رأيك ؟

171) اقرأ أيضا، و الكلام للمؤلف : "**و الطريقة التي يتبعها كعب حين يناقش الناس في آيات القرآن، هي نفس الطريقة التي يتبعها أحبار التلموذ** " (ص 56). و يسوق الكاتب مثالا على ذلك أورده مالك بن انس في موطأه، قال مالك " **رأى كعب رجلا ينزع نعليه فقال : لم خلعت نعليك ؟ لعلك تأولت هاته الآية : "اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى"، ثم قال كعب : أتدري مما كانتا نعلا موسى ؟ قال مالك : لا أدري ما اجابه الرجل، فقال كعب : كانتا من جلد حمار ميت** " (موطأ مالك - ج 3 ص 105). فما العلاقة بين أمر الله تعالى لموسى بخلع نعليه ؟ وبين مصدر جلد نعليه؟ إنه نفس منهج الاحبار، منهج ما هي و ما لونها، منهج إن البقر تشابه علينا، المنهج الذي الذي انتقده القرآن الكريم و طرده من الباب، لكنه عاد، بعد وفاة النبي الكريم، و دخل من نافذتي "التفسير" حينا و "الأحاديث" احيانا أخرى !

172) اقرأ أيضا، و الكلام للمؤلف : "**كان عبد الله بن عباس أكثر الصحابة تأثرا بتعاليم اهل الكتاب عامة، و بعلم كعب الأحبار خاصة**" (ص 59). و يفصل المؤلف كيف تلقى "**عبد الله بن عباس**" علمه عن "كعب الأحبار" و عن يهود العراق لما كان بن عباس واليا على البصرة بأمر من الخليفة علي بن أبي طالب ! ما رأيك ؟

173) اقرأ أيضا، و الكلام للمؤلف : "**و كان كعب الأحبار يطلق على ابن عباس إسم رباني، و هو اللقب الذي اطلقه القرآن الكريم على أحبار اليهود إقرارا لليهود فيما ألفوه منذ القرن الأول بعد الميلاد من إطلاقهم هذا اللقب على كل متعلم منهم كان يتمسك بمبادئ حزب الفروشيم - أي الفريسيون. و إطلاق كعب الأحبار هذا اللقب على ابن عباس وحده دون غيره من الصحابة، فيه إشارة واضحة أن ابن عباس، و هو شيخ المحدثين، قد فاز بأكبر قسط و نال أوفر نصيب من معارف الربانيين و علوم الأحبار** " (ص 60). و في نفس الاتجاه، نقرأ في "طبقات ابن سعد" أن كعبا قال لعكرمة : "**مولاك رباني هذه الأمة، هو اعلم من مات و من عاش**". و لما مات ابن عباس، قال محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بمحمد بن الحنفية : "**اليوم مات رباني هذه الامة**" (ذكره بن سعد في "طبقاته" ج 2 و الدينوري في "المجالسة و جواهر العلم" حديث رقم 1264) ! ما رأيك ؟

174) اقرأ من فضلك كيف ختم الكاتب فصله عن "ابن عباس" قائلا : "**إن ابن عباس لم يعرف كعبا معرفة عادية فحسب، بل إنه كان يلازمه طويلا. و يصغي إليه بعناية، و يرتشف من علمه بشوق، فكثرت معارفه و زودت معلوماته و قويت مداركه فانكشفت له أمور كثيرة كانت خافية على غيره من معاصريه. و نرجح أن ذلك الاتصال المباشر المبارك، بين الشيخ كعب حديث العهد بالإسلام، و بين ابن عباس الشاب المسلم من مهده، قد انتج تلك العبقرية الفذة التي كانت سببا في تخليد اسم ابن عباس في كتب السنة الإسلامية و في تفسير القرآن**" (ص 63). بعد كل ما قيل، هل ما رواه ابن عباس خرج من "مشكاة النبوة" أم "الجعبة التوراتية و التلموذية " لكعب و لباقي أحبار عصره و زمانه، في المدينة و البصرة و باقي الامصار ؟ ما رأيك ؟

175) هل تعلم أن "كعب الأحبار" لما قدم إلى المدينة، و أظهر إسلامه المزعوم، كان عمره حوالي **80 عاما**، و كان قد شب و شاخ في اليهودية بديار اليمن، بلده الأصلي ؟ و هل تعلم أن ابن عباس بدأ ملازمة كعب الأحبار و عمره **17 سنة** فقط ؟ (حسب ما تشير إليه مصادر السير و التاريخ المعتمدة). في نظرك، من الذي أثر في الآخر : الشاب المسلم المتعلم "ابن عباس" أم الشيخ الحبر اليهودي العالم "كعب الاحبار" ؟

176) اقرأ الآن ما كتبه "إسرائيل أبو ذؤيب" في حق الراوية المكثر "أبو هريرة" إذ يقول: " **يعد أبو هريرة ثاني المحدثين، الذين رووا عن الرسول، بل لم ينسب لغيره من الصحابة مثل ما نسب إليه من رواية الاحاديث، حتى ان ما جاء من الاحاديث في مسند احمد بن حنبل مرويا عنه، لا يقل عدد صفحاته عن 314 صفحة، في حين أن ما جاء في المسند نفسه مرويا عن ابن عباس لم يتجاوز 160 صفحة**" إلى أن يقول : "**و قد كان أبو هريرة يرجع في المسائل الإسرائيلية إلى كعب الأحبار كما صرح هو نفسه بذلك، إذ قال : خرجت إلى الطور، فلقيت كعب الأحبار، فجلست معه فحدثني عن التوراة و حدثته عن رسول الله ... إلخ**" (ص 63 -64) ... ما رأيك ؟

177) اقرأ مثلا ما كتبه "إسرائيل أبو ذؤيب"، عن كيف تم نسب مجموعة من الأحاديث التي سمعها "أبو هريرة" و غيره من أحبار اليهود إلى النبي الكريم مباشرة في مصادر الحديث المعروفة، و كيف أصبحت أحاديث "كعب الاحبار" و قصصه، "أحاديث نبوية" ممثلة بذلك القلب النابض ل "السنة"، ذلك المصدر التشريعي الثاني المقدس عند اهل "السنة و الجماعة" ؟

178) يقول صاحب الكتاب، عن أحاديث "فضائل يوم الجمعة" مثلا : "**و هناك رواية أخرى تنسب إلى أبي هريرة، تذكر أنه لم يسمع من الرسول شيئا عن فضائل يوم الجمعة، بل إن كل ما سمعه في ذلك، إنما هو من عبد الله بن سلام** - (انظر مسند احمد، ج 5، ص 450) - **و كان، أي عبد الله بن سلام، هو الذي تحدث مع الرسول عن فضل يوم الجمعة للمؤمنين، على ان مسلما في صحيحه، لم ينسب شيئا مما رواه في مناقب يوم الجمعة إلى كعب أو إلى عبد الله بن سلام، و لم يذكرهما مطلقا في هذا الباب وكل ما رواه عن ذلك نسبه مباشرة إلى الرسول**" ! ما رأيك ؟

179) و في نفس السياق، يشير الكاتب بالدليل و المقارنة بين كتب الحديث المعروفة، إلى ظاهرة نسبة "أحاديث" كعب و غيره مباشرة إلى رسول الله، حيث يقول : "**و هذه إحدى الظواهر الخطيرة التي تعرض للباحث في تطور أسانيد الرواية الإسلامية، و هي ظاهرة تلقي شعاعا من النور، على مصدر كثير من الروايات كانت في بدء الامر منسوبة إلى أحد الصحابة أو ا لتابعين، ثم حدث أن انتحلت في زمن متأخر و نسبت إلى الرسول مباشرة**" ... إلى أن يقول : "**و تبدو هذه الظاهرة ساطعة لامعة، حينما نجد في المصادر القديمة روايات وجه فيها أبو هريرة السؤال إلى كعب الأحبار، او إلى عبد الله بن سلام، ثم نرى هذه الروايات نفسها قد نسبت في المصادر المتأخرة إلى الرسول مباشرة، فلا نشك أن أصحاب هاته المصادر وهم بعض جامعي الروايات في القرن الثالث الهجري، لم يرق في نظرهم لأمر من الأمور أن يقبلوا رأيا من مصدر يهودي، او ممن اعتنق الغسلام حديثا فآثروا أن تروى الرواية المنسوبة للرسول مباشرة**" (ص 65). و

هو يقارن بين "موطأ" مالك لاعتبار قدمه نسبيا، مع ما يسمى "صحيح البخاري" و "صحيح مسلم" اللذين ألفا خلال القرن الثالث للهجرة. كيف تنظر إلى ذلك ؟ ما رأيك ؟ ما موقفك ؟

180) يختم "إسرائيل أبو ذؤيب" فصله عن "أبي هريرة" بخلاصة خطيرة جدا، أثبتتها مراجع أخرى، من بينها كتاب "البداية و النهاية" للحافظ بن كثير (ج 8 - ص 109) قائلا : " **... إن أبا هريرة كان على كثرة إنتاجه في الحديث يتورط في بعض الأحوال، و يخلط بين حديث الرسول و رواية كعب الأحبار، كما يتضح لنا من الرواية المنسوبة لمسلم بن الحجاج، قال : قال لنا بشر بن سعيد : كنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله، و يحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، و حديث كعب عن رسول الله. و في رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول الله و ما قاله رسول الله عن كعب، فاتقوا الله و تحفظوا في الحديث. و قال يزيد بن هارون، سمعت شعبة يقول : أبو هريرة كان يدلس، أي يروي ما سمعه من كعب و ما سمعه من رسول الله و لا يميز هذا من هذا"** (ص 66) ... ما رأيك ؟ ما موقفك ؟

181) و حتى يتسنى لك إمكانية المقارنة و التحديد التقريبي لمصادر "الأحاديث" المنسوبة للنبي الكريم عن "الختان" - الذي لم يذكره القرآن الكريم - ينبغي مقارنتها مع ما رواه - ربما - "كعب الأحبار" أو غيره من اليهود الذين أظهروا إسلامهم و تكلفوا بتربية الجيل الأول من رواة الحديث - ابن عباس و أبو هريرة خصوصا، فهل اطلعت على نصوص "التوراة" في موضوع "الختان"؟

182) هل تعلم أن "الإصحاح السابع عشر "من "سفر التكوين" من "الكتاب المقدس -العهد القديم" يقول (على لسان الإله) : **"(1) ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة، ظهر الرب لأبرام وقال له: أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملا (2) فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثيرا جدا (3) فسقط أبرام على وجهه . وتكلم الله معه قائلا (4) أما أنا فهوذا عهدي معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم (5) فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم، لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم (6) وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون (7) وأقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم، عهدا أبديا، لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك (8) وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكا أبديا. وأكون إلههم (9) وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم (10) هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك: يختن منكم كل ذكر (11) فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم (12) ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم: وليد البيت، والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك (13) يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا (14) وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي (15) وقال الله لإبراهيم : ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي، بل اسمها سارة (16) وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها فتكون أمما، وملوك شعوب منها يكونون (17) فسقط إبراهيم على وجهه وضحك، وقال في قلبه: هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة (18) وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك (19) فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده (20) وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه**

وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة (21) ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية (22) فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم (23) فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه، وجميع ولدان بيته، وجميع المبتاعين بفضته، كل ذكر من أهل بيت إبراهيم، وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله (24) وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته (25) وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته (26) في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه (27) وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه " ... ما قولك ؟

183) هل تعلم أن "الإصحاح الثاني عشر "من "سفر اللاويين" من "الكتاب المقدس -العهد القديم" يقول (على لسان الإله) : " **(1) وكلم الرب موسى قائلا : (2) كلم بني اسرائيل قائلا : اذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة ايام. كما في ايام طمث علتها تكون نجسة. (3) وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته. (4) ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فيدم تطهيرها. كل شيء مقدس لا تمسّ والى المقدس لا تجيء حتى تكمل ايام تطهيرها. (5) وان ولدت انثى تكون نجسة اسبوعين كما في طمثها. ثم تقيم ستة وستين يوما في دم تطهيرها. (6) ومتى كملت ايام تطهيرها لاجل ابن او ابنة تأتي بخروف حولي محرقة وفرخ حمامة او يمامة ذبيحة خطية الى باب خيمة الاجتماع الى الكاهن. (7) فيقدمهما امام الرب ويكفّر عنها فتطهر من ينبوع دمها. هذه شريعة التي تلد ذكرا او انثى. (8) وان لم تنل يدها كفاية لشاة تاخذ يمامتين او فرخي حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفّر عنها الكاهن فتطهر.** " ... ما قولك ؟

184) هل تعلم أن هذين "الإصحاحين" يمثلان العمود الفقري للعقيدة التوراتية بأكملها ؟ هل تعلم أن نظرية "شعب الله المختار" الأساسية عند اليهود ترتكز عليهما ؟ هل تعلم أن نظرية "العهد الأبدي" و "الأرض الموعودة" ترتكز على الإصحاح 17 من سفر التكوين السابق ذكره ؟ هل تعلم أنه بمقتضى هذا الإصحاح يعتقد اليهود اعتقادا راسخا أن الرّب وهبهم أرض كنعان - و منها فلسطين ملكا أبديا إلى قيام الساعة - و بالمقابل فإنهم يدفعون ثمن هاته الأرض ب "ختان" أبناءهم، ثمانية أيام فقط بعد ولادتهم، و هو الاعتقاد الذي تتبناه "إسرائيل" في تبرير احتلالها للأراضي الفلسطينية، مما يعطي ل "الختان" عندهم أبعادا عقدية و سياسية و غيرها ؟

185) هل تعلم أن القرآن الكريم ينسف نظريات "العهد الأبدي" و "الأرض الموعودة" و "شعب الله المختار" نسفا من اسسها و يرفضها رفضا بينا قاطعا لا جدال حوله في آيات عدة ؟

186) هل تعلم أن "القرآن الكريم" لم يذكر بتاتا "ختان" إبراهيم، أو "ختان" أبنائه أو "ختان" ذريته، لا جملة و لا تفصيلا، لا تصريحا و لا تلميحا، مثل ما هو وارد تفصيلا و تصريحا في نصوص الإصحاحين ؟

187) هل تعلم أن "القرآن الكريم" لم يذكر "ختان إبراهيم" و لم يذكر، تبعا لذلك،عمر "إبراهيم" زمن ختانه المزعوم ؟

188) هل تعلم أن "القرآن الكريم" لم يذكر "ختان إسماعيل" و لم يذكر، تبعا لذلك،عمر "إسماعيل" زمن ختانه المزعوم ؟

189) برأيك، مادام "القرآن الكريم"، و هو الكامل التام وحيه، لم يذكر "ختان" إبراهيم عليه السلام، و عمره زمن ذلك "الختان" المزعوم، فمن أين استقى "أبو هريرة" تلك التفاصيل الدقيقة التي تضمها رواياته؟ هل استقاها من قول نبي الله محمد عليه الصلاة و السلام ؟ أم نقلها نقلا من تلك "الدروس التوراتية" التي تلقاها عن شيخه "كعب الأحبار" و هو يجالسه للتعلم منه في جبل "الطور" ؟

190) تأمل و قارن : بين أقوال "أبي هريرة" في "مصنف البخاري" و بين "الإصحاح 17" من "سفر التكوين" العبراني. يقول أبو هريرة : "**قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اختتن إبراهيم عليه السلام، و هو ابن ثمانين سنة، بالقدوم**" (البخاري - 3356). و يقول الإصحاح 17 : " **وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته**". علما أن الرواة و المفسرين اختلفوا - كعادتهم - في سن إبراهيم زمن ختانه المزعوم، هل هو 80 سنة أو أقل من ذلك أو أكثر. بل إن "موطأ" مالك بن أنس يروي رواية أخرى لنفس الشخص "أبي هريرة" مفادها : "**أن إبراهيم أول من اختتن وهو ابن عشرين ومائة**". حتى إذا أردنا التوفيق بين الروايتين، المالكية و البخارية، قمنا بعملية حساب "المعدل الرياضي" بين القيمتين 80 و 120، فنحصل على نتيجة 100 سنة، أي ما يشير إليه "الإصحاح 17" مع فارق سنة واحدة فقط ؟ من أين للنبي الكريم أن يطلع على هاته المعلومة، التي لم يأت بيانها في القرآن الكريم الموحى ؟ لم لم يرد ذكر تلك القصة في القرآن و الله تعالى يقول في كتابه مخاطبا نبيه : "**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن و إن كنت من قبله لمن الغافلين**" (يوسف - 3)؟ ما رأيك ؟ ما تعليقك ؟

191) هل تعلم أن الكثيرين من "فقهاء الحديث" المسلمين، قديما و حديثا، اعتبروا - رواية عن "ابن عباس" و عن غيره من رواد الرواية - "**أن الأغلف لا تؤكل ذبيحته**"، "**و لا تقبل له صلاة**"، "**و لا تجوز إمامته للصلاة**"، "**وهو غير كامل الطهارة**"، "**و لا تجوز له شهادة**"، "**و لا يحج او يطوف بالبيت الحرام**"، "**وتبطل عمرته و حجه**"، "**و لا يتم له إسلام حتى يختتن**"، و أن "**الإمام يتوجب عليه مقاتلة قوم تواطؤا على عدم الختان**"، "**و أن من أمر بالختان فلم يفعل قتل، ولا يقتل حتّى يبالغ في التأنّي به**"، "**و لا يصلى عليه إذا مات**"، و "**إذا تزوّج أغلف بامرأة ودخل بها قَبل أن يختتن، فرّق بينهما**" ؟ ما قولك ؟ ما رأيك ؟

192) هل تعلم أن "يوسف القرضاوي"، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الذي يزعم أتباعه وسطيته و اعتداله و فقهه الواسع، يكرر في إحدى فتاواه المعاصرة ما سار عليه أسلافه من : "**أن الإمام لو رأى أهل بلد تركوا الختان لوجب عليه أن يقاتلهم حتّى يعودوا إلى هذه السُنّة المميّزة لأمة الإسلام**" ؟ هل تعلم أن أقوال "فقهاء الحديث" السابقين و المعاصرين لا تستند على أي دليل من القرآن الكريم ؟ ما قولك ؟ ما رأيك ؟

193) هل تعلم أن "فقهاء التوراة و التلموذ" يعتبرون أن: " **الأغلف أو غير المختون يقطع من شعبه، قتلا أو نفيا من الأرض**"، و أن : "**الأغلف نجس و غير طاهر**" و أن : "**الأغلف لا يشارك بالأعياد**" و أن : "**الأغلف لا يدخل الهيكل و لا القدس**" و أن : "**الأغلف لا يتزوج من يهودية و لا يناسب**" و أن : "**الأغلف لا يعاشر**" و أن : "**الأغلف لا نصيب له في الآخرة**" ؟

194) ألا ترى تشابها بين مواقف و أحكام "أحبارالحديث" و بين مواقف و أحكام "فقهاء التوراة و التلموذ" ؟

195) علما أن القرآن - و هو الكامل التام وحيه - لم يذكر "الختان"، و لم يقرر حكما أو شرعا بخصوصه، فمن أين استقى "فقهاء الأحاديث" السابقين، و مقلديهم من المعاصرين أحكامهم و فتاواهم ؟ هل استقوها من وحي آخر مزعوم ؟ أم استقوها ببساطة من "ابن عباس" و "أبي هريرة" و باقي رواد "الرواية" الذين تعلموا على أيادي "فقهاء و أحبار" اليهود من أمثال "كعب الأحبار"؟ ما قولك ؟ ما رأيك ؟

196) هل تعلم أن "كعب الاحبار" قال في حق "أبي هريرة" - و هو كما سبق بيانه واحد من أهم من قالوا أحاديث في "الختان" - ما يلي : " **ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة**" (سير أعلام النبلاء) ؟ هل "الختان" كان من ذلك "العلم التوراتي" الذي عرف به "أبو هريرة" و نسبه كذبا و زورا للإسلام ؟ ما رأيك ؟ ما قولك ؟

197) هل تعتقد، بعد كل ما سبق، أن "الختان" شرع ديني إسلامي واجب الاتباع و التطبيق ؟ أم أنه شرع توراتي لم يصدقه القرآن و لم يوجبه على المؤمنين به ؟

ملاحظة هامة : للتوضيح فقط، نصوص "العهد العبراني" القديم و نصوص "التلموذ"، تشكل في نظرنا نسقا متكاملا مستقلا بذاته، له منطقه الداخلي الخاص به، الذي تفهم نصوص الشريعة و اجتهادات الفقه اليهوديين في إطاره و من داخله. و بناء على ذلك، فتذكيرنا بكون "الختان" جزء أساسي من ذلك النسق الديني العقدي التشريعي التصوري، هو فقط تحصيل حاصل و إرجاع ما لليهود لليهود. تماما كتذكيرنا بأن "الختان" لم يرد ذكره في القرآن الكريم، على اعتبار أن للقرآن الكريم نسقه أيضا و منطقه الداخلي الخاص به و المستقل تماما عن النسق العبراني منطقا و تصورات. فلا ينبغي إذن اعتبار موقفنا هذا موقفا معاديا بشكل من الأشكال، للنصوص اليهودية أو معاديا لطائفة اليهود لانهم يهود ... مختونون.

كما أنه لا ينبغي أن يفهم من موقفنا هذا أي تبن مبدئي لنظرية المؤامرة، و التي قد تعني تآمر بعض "الأحبار" زمان النبوة، مع سبق الإصرار و الترصد، للتشويش على الخطاب القرآني. إلا أنني في الوقت نفسه، لا أستبعد حصول ذلك بسعي بعض الأحبار اليهود - بتحالفهم المصلحي الآني، بعد أن قاتلهم النبي و طرد قبائلهم من المدينة و ما حولها، مع بعض الشعوبيين الفرس و كذا مع بعض القرشيين الامويين من بني عمومة النبي - لتوجيه تفسيرات النص القرآني وجهة إسرائيلية صرفة، و خلق دين سني حديثي ختاني مواز، يصبح مهيمنا على النص القرآني ذاته و ناسخا و مبطلا لمفعوله التحريري، و يشكل أساس بناء الوعي الديني و السياسي لمسلمي ذلك الزمان. قد يكون ذلك الأمر قد وقع بالفعل. و إن كان قد وقع، فلا ينبغي إلقاء اللائمة اليوم على طائفة اليهود - التي لا تقبل كلها بالختان، بل من ابنائها من يرفضونه و يناضلون من أجل إلغائه لاعتبارات إنسانية حقوقية صرفة، حتى من داخل إسرائيل نفسها.

منطق القرآن يستوجب البحث عن أسباب التيه المعرفي و الفشل و الضياع القيمي، ليس في "نظرية المؤامرة" من أطراف أخرى، بل في وجهة الذات : "**فبما كسبت أيديكم**" و كذا في العامل الداخلي و القابلية للاختراق و التأثر. إذ "**لو**" فهم "أبو هريرة" و "ابن عباس" - مثلا - منطق القرآن الكريم الداخلي و توجهاته الإنسانية التحريرية الجديدة و الثورية أيضا، من داخل القرآن و بمفرداته فقط، ما احتاجا إلى علوم "كعب الأحبار" أو "عبد الله بن سلام" أو غيرهما. و "**لو**" فهم مسلمو اليوم هذا المنطق أيضا، ما كانوا في حاجة إلى مناكير "أبي هريرة" أو تفسيرات "ابن عباس" أو شوارد "ابن مسعود". "**لو**" فهم مسلمو اليوم هذا المنطق لأودعوا بعض ذلك التراث الحديثي المكدس و المقدس في متحف التاريخ القديم، و بعضه الآخر في مزبلته. لكن "**لو**" اللعينة تغلق باب المتاحف و المزابل و تفتح باب الشيطان الرجيم ... استغفر الله من كل ذنب.



الاستمارة البحثية السابعة :

من أمر بالختان؟ الله تعالى أم الشيطان؟

198) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: " **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**" (المؤمنون - 13) ؟

199) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: " **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**" (النمل - 88) ؟

200) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: "**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ**" (السجدة - 7)؟

201) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: "**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**" (التين - 4) ؟

202) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: "**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**" (غافر - 64) ؟

203) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: "**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**" (التغابن - 3) ؟

204) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: " **إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء. هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**" (آل عمران - 5 و 6) ؟

205) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: " **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ**" (الانفطار - 6 و 7 و 8) ؟

206) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: " **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**" (القصص - 68) ؟

207) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: "**فأقم وجهك للدين حنيفا، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون**" (الروم - 30)؟

208) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه العزيز: " **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** " (غافر - 40) ؟

209) إذا كنت تعلم و تؤمن بكل الآيات القرآنية السابقة، و إذا كنت تعلم أيضا أن الختان في حقيقته إنما هو قطع بالمقص لجزء من عضو تناسلي سليم خلقه الله تعالى، فهل يستقيم، قرآنا و عقلا، إيمانك بكل تلك الآيات مع اعتبارك، في نفس الوقت، الختان من شرع الله تعالى ؟

210) كيف يستقيم إيمانك بكمال خلق الله لجسم الإنسان مع اعتقادك أن الغرلة التي تقطع في عملية الختان غلفة زائدة و لا فائدة فيها ؟

211) كيف يستقيم إيمانك بإتقان الله لصنعه مع اعتقادك في نفس الوقت بالختان الذي يطعن مناصروه في وظيفة تلك الغرلة و يقطعونها زعما منهم أنها غير صالحة و انها مصدر الأمراض الفتاكة ؟

212) كيف يستقيم إيمانك بإحسان الله في تصويرنا على الشكل و الهيئة التي أراد مع اعتقادك في نفس الوقت أن الغرلة المخلوقة لا وظيفة لها ؟

213) إذا كنت فعلا تعلم و تؤمن بآيات الله السابقة، كيف لا تعتبر الختان تغييرا لخلق عضو تناسلي سليم خلقه الله حسب مشيئته و إرادته سبحانه ؟

214) إذا كنت فعلا تعلم و تؤمن بآيات الله السابقة، كيف لا تعتبر الختان تبديلا لخلق الله تعالى ؟

215) هل ارتكب الله سبحانه "خطأ" في خلق تلك الغرلة التي يقطعها الخاتن بزعم التصحيح أياما أو شهورا بعد الميلاد ؟

216) إذا كانت الغرلة المخلوقة داخلة في إرادة الله تعالى و مشيئته بخلقنا بتلك الصورة الحسنة و المتقنة و المقدرة تقديرا، تماما كم خلق لنا عيونا و ألسنة و أصابع، فكيف تقبل قطعها و ختانها بما يغير و يبدل خلق الله تغييرا و تبديلا ؟

217) هل تعلم و تؤمن بقول الله تعالى في كتابه : " **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ، وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا. إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا، لَّعَنَهُ اللَّهُ، وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا. وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا**" (النساء - 116 إلى 119) ؟ (أنظر الملحق الثاني : **نماذج من تغيير هيئة بعض اعضاء الجسد عبر التاريخ**)

218) هل تغيير خلق الله تعالى يدخل في أعمال التوحيد و الإيمان أم في أعمال الشرك و الكفر ؟

219) هل الأمر بتغيير خلق الله تعالى هو من أمر الله و شرعه أم من أوامر الشيطان ؟

220) كيف يستقيم علمك و إيمانك بهاته الآيات البينات مع اعتبارك الختان قربة و عبادة لله ؟ هل أمر الله بها ؟

221) هل بتطبيقك الختان على جسد ابنك تستجيب لنهي الله بعدم تغيير خلقه ؟ أم تستجيب لأمر الشيطان بتغيير خلق الله ؟ هل تفضل نهي الله أم أمر الشيطان ؟ هل تفضل توحيد الله بعدم التغيير أم معصية الله بالشرك و الختان و الخسران المبين ؟

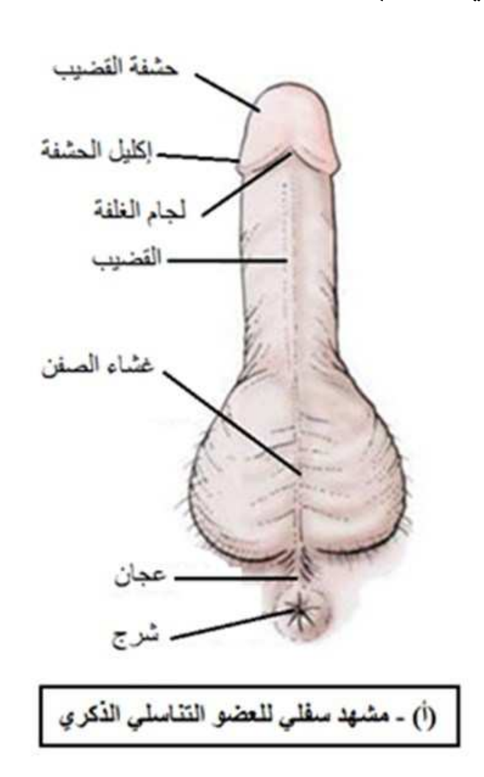


الاستمارة البحثية الثامنة :

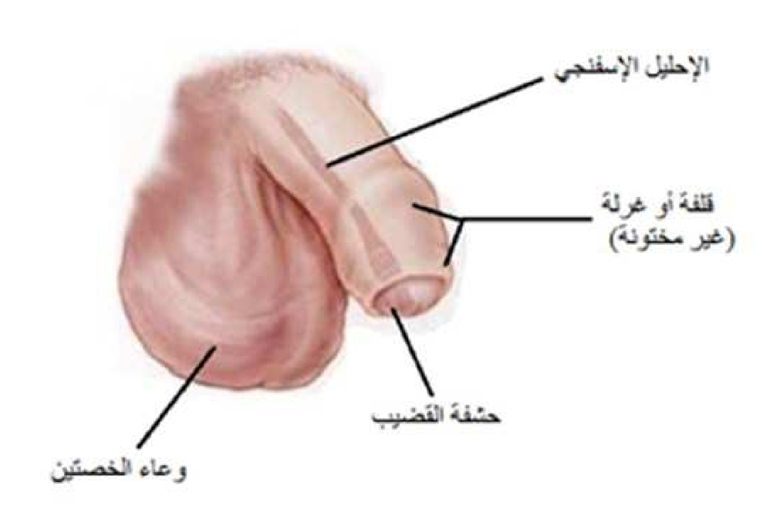
أي أدوار بيولوجية و جنسية للغرلة ؟

222) هل بحثث في مجالات العلم و الطب لتعرف و تفهم أدوار الغرلة (أو القلفة أو الغلفة) من النواحي البيولوجية و الفيزيولوجية و العصبية و غيرها ؟

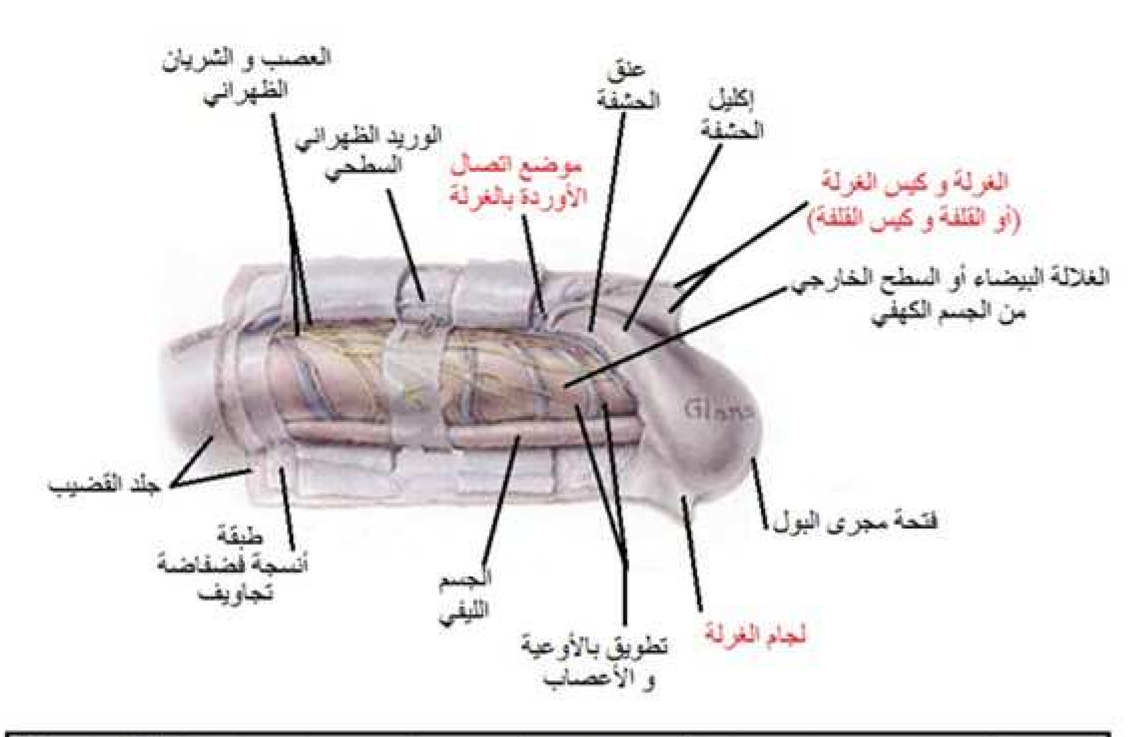
223) لاحظ الرسوم البيانية التالية للتعرف على هيئة و المكونات العضلية و العصبية و الدموية و النسيجية للعضو التناسلي الذكري كما خلقه الله تعالى قبل تغييره بعملية "الختان" عند ذكر بالغ :



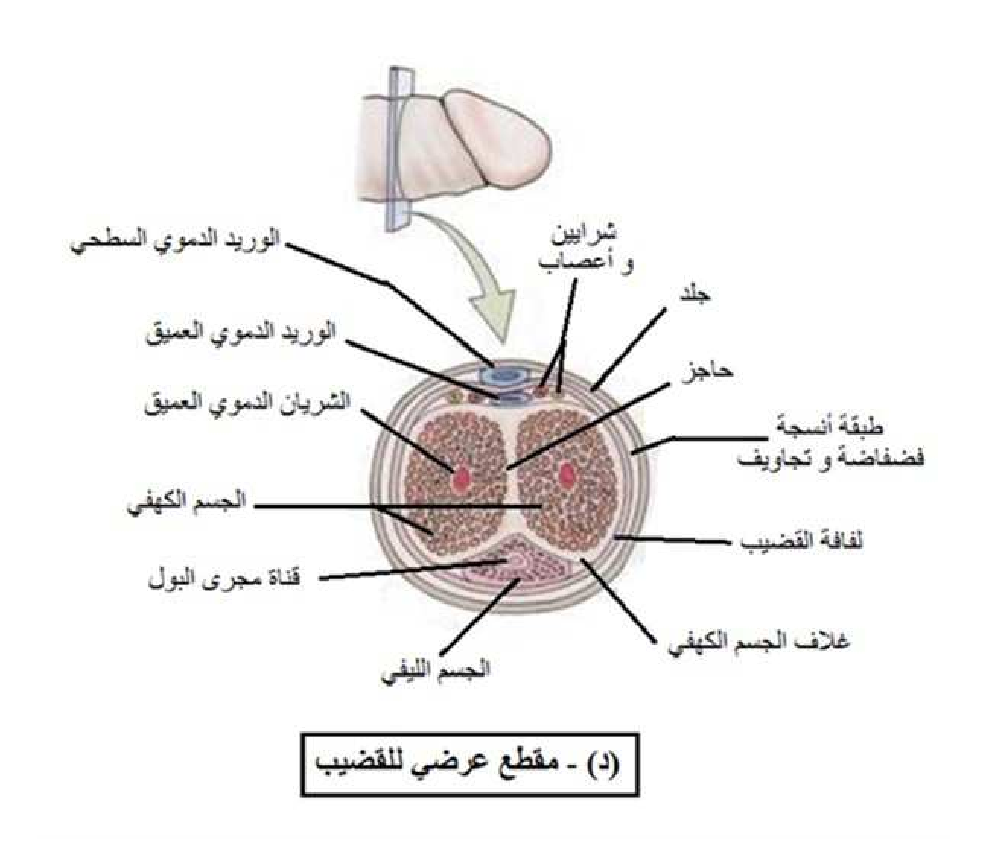
(أ) - مشهد سفلي للعضو التناسلي الذكري



(ب) - مشهد من جهة اليمين لعضو تناسلي لذكر بالغ



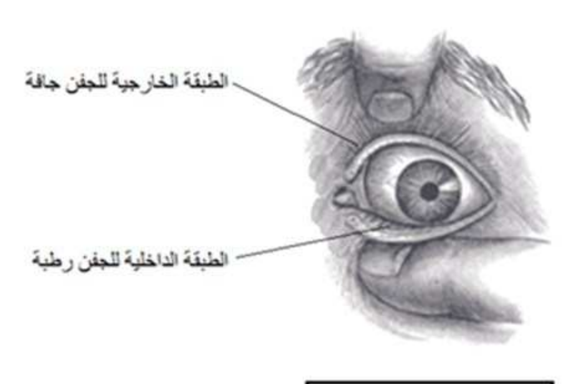
(ج) - مقطع جانبي يبين موضع الغرلة و اتصالها بالأوردة و الأعصاب و لجام الغرلة أسفل الحشفة



(د) - مقطع عرضي للقضيب

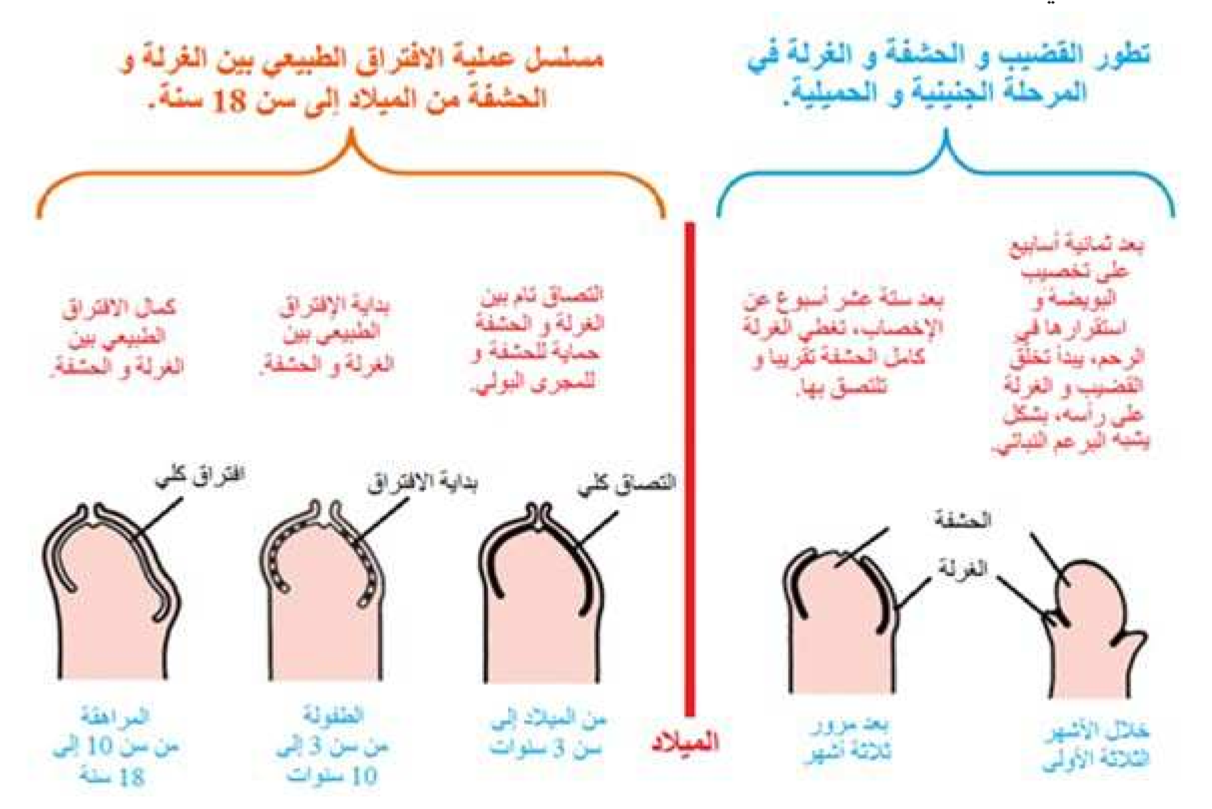
224) هل بحثت عن الأدوار الفيزيولوجية التي تلعبها "الغرلة" المحيطة بحشفة القضيب و التي يقوم الخاتن بقطعها عند الختان ؟

225) هل تعلم أن الغرلة - المحيطة بالحشفة قبل الختان - تتكون من طبقتين مختلفتين : "طبقة داخلية" رطبة و "طبقة خارجية" جافة ؟ تماما كجفن العين : الطبقة الداخلية رطبة و الطبقة الخارجية جافة - أنظر الرسم التوضيحي التالي :



رسم توضيحي لجفن العين

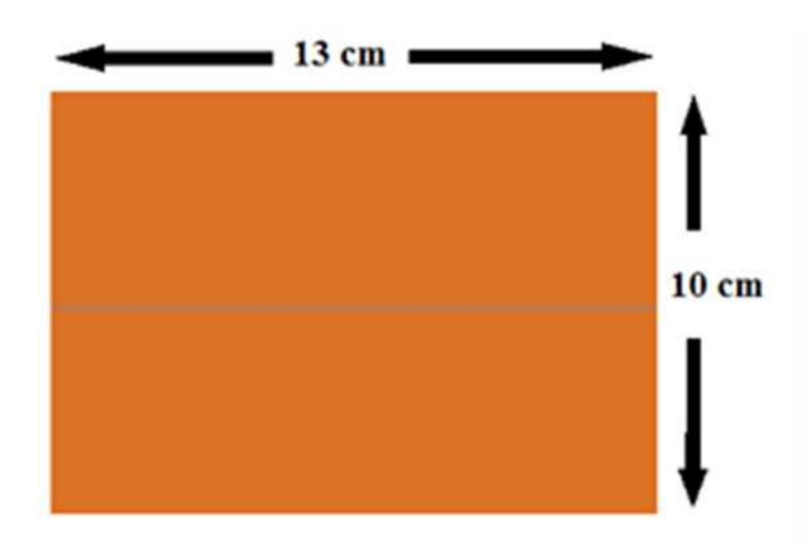
226) هل تعلم أن الغرلة تكون بداية ملتصقة برأس القضيب (الحشفة) في السنوات الأولى من العمرو تبدأ في الانفصال التدريجي عنه شيئا فشيئا ما بين 3 و 18 سنة ؟ انظر الرسم البياني التالي :



227) هل تعلم أن التصاق الغرلة بالحشفة خلال السنوات الاولى من عمر الإنسان يحمي القضيب من التهيج في هاته السن المبكرة (قبل بلوغ الطفل) ؟

228) هل تعلم أن من وظائف الطبقة الخارجية للغرلة حماية الحشفة من الاحتكاكات المؤلمة مع الملابس الناتجة عن النشاط اليومي من مشي و جري و قفز و غيرها من الأنشطة الاعتيادية ؟

229) هل تعلم أن مساحة جلد الغرلة عند إنسان بالغ قد تصل إلى 130 سنتيمتر مربع (أي ما يعادل مساحة المستطيل أسفله) ؟



230) هل تعلم أن الغرلة (أو القلفة) التي يقطعها الخاتن بمقصه تحتوي على حوالي 20.000 نهاية عصبية مصممة أساسا للإثارة و للإحساس بالمتعة الجنسية، هاته النهايات العصبية تسمى جسيمات ميسنسر (corpuscules de Meissner) ؟ (للإشارة، نجد هاته الجسيمات الحساسة جدا في أماكن اللمس كأطراف الأصابع و نجدها أيضا في الشفتين).

231) هل تعلم أن كل نهاية عصبية هي عبارة عن جهاز استشعار يقوم بأدوار أساسية في استقبال الاحساسات و التأثيرات الخارجية (حرارة - برودة - ألم - تهييج جنسي ...) و إرسالها إلى الدماغ، بنقلها عبر الألياف العصبية و النخاع الشوكي، ليتخذ الدماغ القرار المناسب و الاستجابة الملائمة حسب طبيعة الإحساس ؟

232) هل تتصور حجم الكارثة التي يحدثها الختان حيث يتسبب في قطع و إعدام حوالي 20.000 نهاية عصبية و جهاز استشعار، تضمها الغرلة، و أثر ذلك على الاستمتاع الطبيعي خلال العلاقة الجنسية ؟

233) هل تعلم أن الغرلة تضم حوالي 70 مترا من الألياف العصبية الضرورية في نقل الإحساسات المستشعرة بواسطة النهايات العصبية ؟

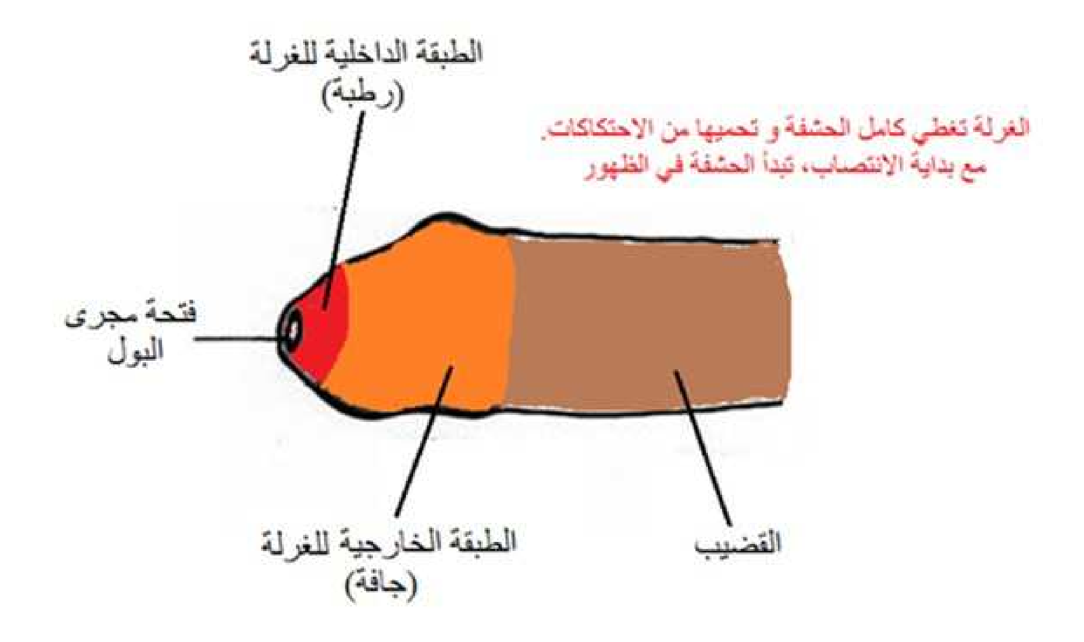
234) هل تعلم أن الغرلة (أو القلفة) تلعب أدوارا وقائية و مناعية كثيرة على مدى الحياة ؟ هل تعلم أن غرلة الطفل مثلا توفر للمسلك البولي بيئة معقمة بمثابة صمام الأمان، على شكل عضلة عاصرة في فتحة الغرلة، تسمح بخروج البول و تمنع في نفس الوقت دخول الجراثيم و الملوثات المعدية مثل كل الصمامات التي نجدها في أماكن اخرى من جسم الإنسان (في الكلية و القلب و في فتحة الشرج المجاورة مثلا) ؟

235) هل تعلم أن الغرلة تلعب أدوارا أخرى عند البالغين، إذ بالإضافة إلى دور الوقاية و التعقيم فهي توفر على الدوام الرطوبة اللازمة للغشاء المخاطي للحشفة مما ييسرعملية ولوج القضيب خلال العلاقة الجنسية ؟ (للإشارة، فإن أغلب المختونين يجدون صعوبات كثيرة جدا في الإيلاج السهل من دون ألم للشخص أو لزوجه، مما يجبر بعضهم على اقتناء بعض المرطبات و الزيوت الصيدلية أو الاستعانة فقط باللعاب).

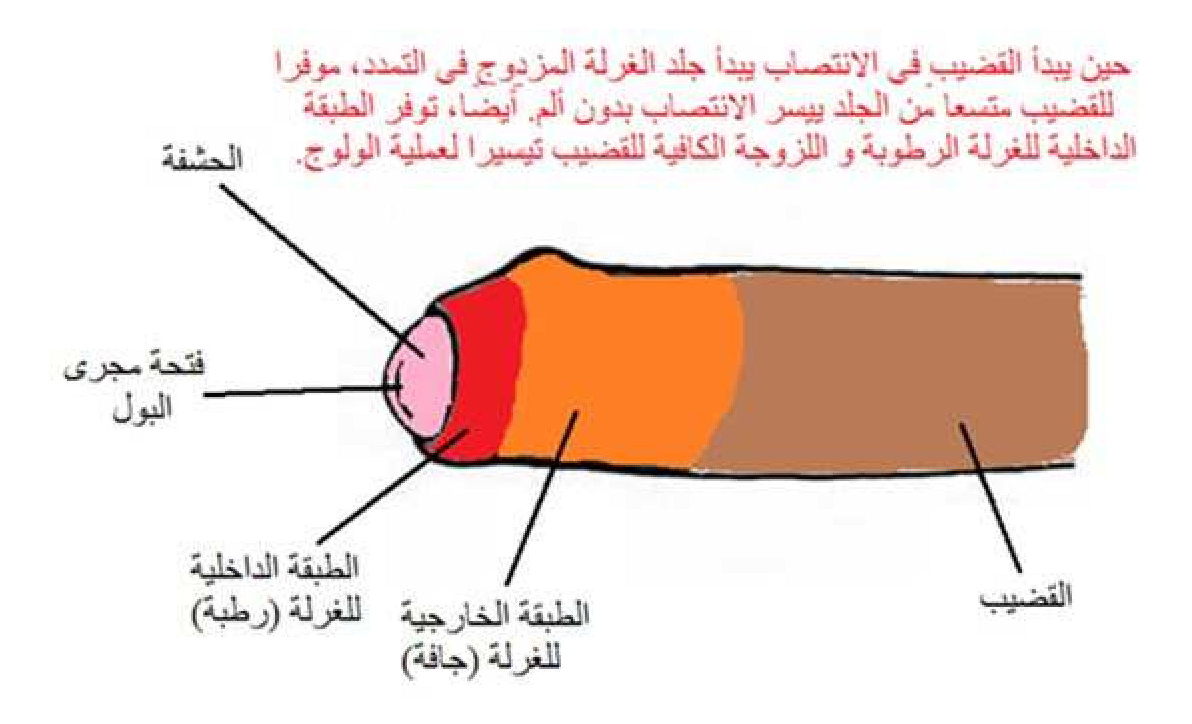
236) هل تعلم أن الغرلة تضم غدد الأبوكرين (glande apocrine) تفرز داخلها أنزيم الليزوزيم (lysozyme) الذي يدمر جدار الخلايا البكتيرية التي تحاول الهجوم و التسلل إلى داخل الجسم عبر المسلك البولي مثلا ؟ (للإشارة فالليزوزيم نجده أيضا في دموع العين و في لعاب الفم و في حليب الأم).

237) هل تعلم أن الغرلة تلعب دورا حاسما في الإثارة الجنسية و كذا في نجاح العلاقات الجنسية دون ألم أو معاناة للزوجين ؟

238) هل تعلم أن الغرلة مصممة لتغطية الحشفة بشكل كامل حين يكون القضيب غير منتصب و أنها مصصمة لتوفير متسع من الجلد حتى يتمكن القضيب من التمدد و الانتصاب الكامل، دون ألم، مع السماح للبشرة أن تبقى في حالة استرخاء و دون توتر مؤلم ؟ لاحظ الرسم البياني الذي يوضح المراحل الثلاثة و دور الغرلة في الانتصاب السليم :

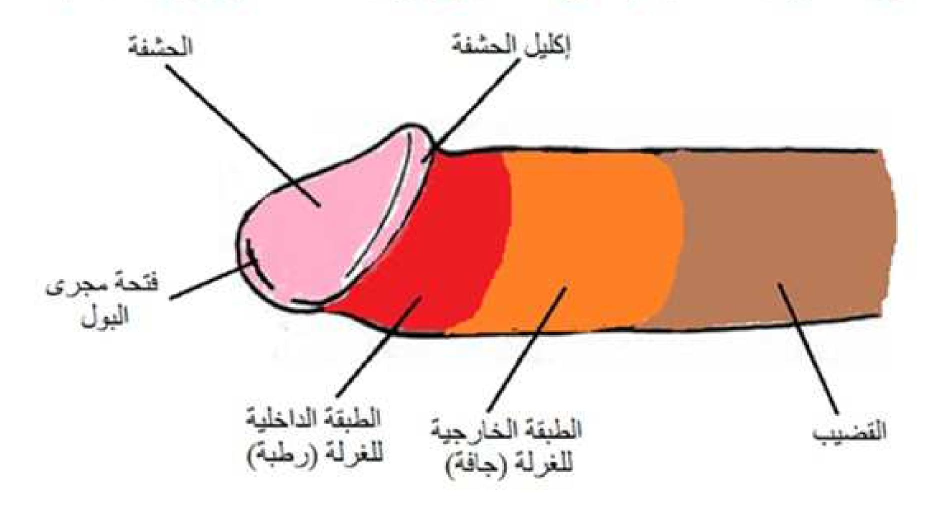


(أ)- المرحلة الأولى : بداية انتصاب قضيب غير مختون



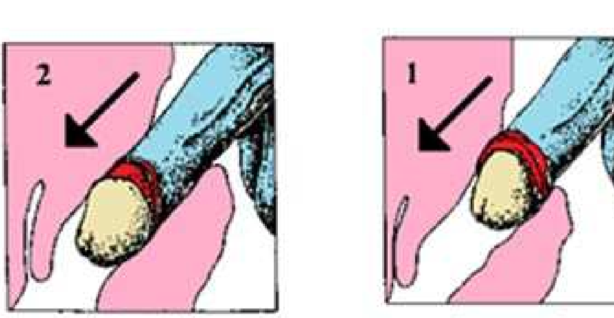
(ب) - المرحلة الثانية : قضيب غير مختون في حالة انتصاب و سيط

القضيب في وضع انتصاب كامل و طبيعي بفضل وجود الغرلة كاملة بطبقتيها الداخلية و الخارجية. الختان يحرم القضيب من جزء كبير من هاتين الطبقتين أو من كليهما، مما يجعل الانتصاب مؤلما في حالات كثيرة و يجعل الحشفة تفقد رطوبتها بشكل دائم.



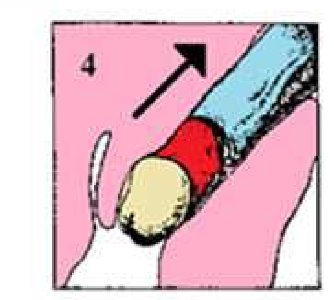
(ج) - قضيب غير مختون في وضع انتصاب كلي

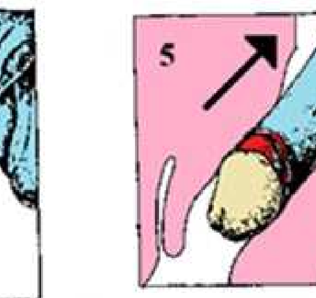
239) هل تعلم أن الغرلة تقوم بأدوار هامة جدا أثناء العلاقة الجنسية و انها مسؤولة بشكل مباشر عن نجاحها دون ألم أو معاناة أو سرعة قذف : إذ أنسجة الغرلة الحساسة و نهاياتها العصبية تساهم في التهييج الجنسي. و إفرازاتها تقوم بدور الدهن المرطب و المسهل لعملية الإيلاج دون حاجة إلى دهون اصطناعية صيدلية أو غيرها. و حركة الغرلة، ذهابا و إيابا، أثناء الجماع تساعد على تهييج النهايات العصبية بشكل مناسب و تمنع التهييج المباشر لإكليل الحشفة مما يقي من سرعة القذف و يسهم في إشباع كلا الزوجين ؟ انظر الرسوم البيانية التالية :





الرسوم التوضيحية (1) و (2) و (3) تبين عملية ولوج القضيب في مهبل المرأة. تلعب الغرلة دورا أساسيا في ترطيب الحشفة و تسهيل الولوج دون ألم للزوجين معا. و توفر الغرلة متسعا من الجلد للقضيب، حتى يتمدد و ينتصب كليا و بطريقة سليمة و غير ملتوية.







الرسوم التوضيحية (4) و (5) و (6) تبين عملية إياب و خروج القضيب من المهبل. أثناء ذلك، تحمي الغرلة إكليل الحشفة الحساس جدا من التهيج السريع، المفضي لسرعة القذف و انهاء العلاقة الجنسية قبل إشباع الزوجين. و قبيل خروج القضيب من المهبل كليا، ترجع الغرلة إلى لتغطي الحشفة حماية لها من جديد كما سبق بيان ذلك.

رسوم بيانية لدور الغرلة أثناء العلاقة الجنسية بين الزوجين

240) هل تعلم أن كل ذكور الثدييات يمتلكون غرلات مشابهة في لغرلة الإنسان في وظائفها الوقائية و الجنسية ؟ لاحظ بتأن مثلا غرلات حيوانات المزرعة (ثور، كبش، حمار، حصان، كلب، قط،...) و لاحظ أيضا غرلات حيوانات حديقة الحيوانات (أسد، نمر، قرد، فيل، ...) ستجد أن أعضاءها التناسلية، في حالة عدم الإنتصاب، لا يضهر منها إلا الغرلة الواقية ؟ هل في الأمر عبث أم أنها سنة الله في خلقه و مشيئة الصانع المدبر الحكيم ؟



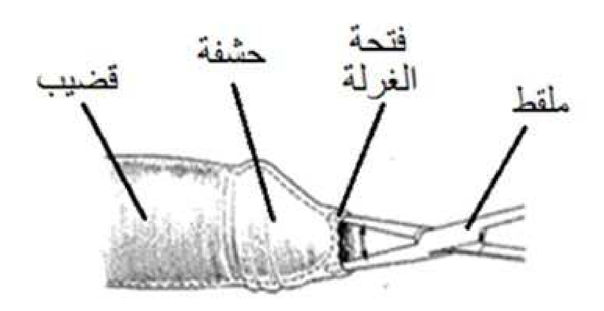
الاستمارة البحثية التاسعة :

هل تعرف كيف تتم عملية الختان ؟

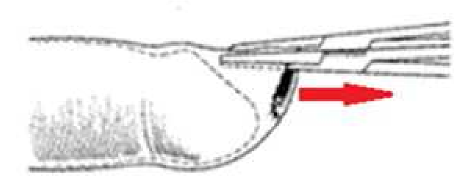
241) هل تعرف كيف تتم عمليات ختان الاطفال عند الحجام أو في عيادة الطبيب ؟ هل سبق و أن اطلعت على تفاصيل تلك العملية ؟

242) هل تعلم أن الختان، بما هو قطع لكل الغرلة أو لجزء كبير منها، يحرم العضو التناسلي الذكري من حوالي **130 سنتيمتر مربع** من جلد الغرلة بطبقتيها عند بلوغه و **من 20.000 مستقبل حساس و نهاية عصبية** و من حوالي **70 مترا من الألياف العصبية** الحساسة و من **مئات الأمتار من الشرايين** الدموية الدقيقة و الحيوية ؟

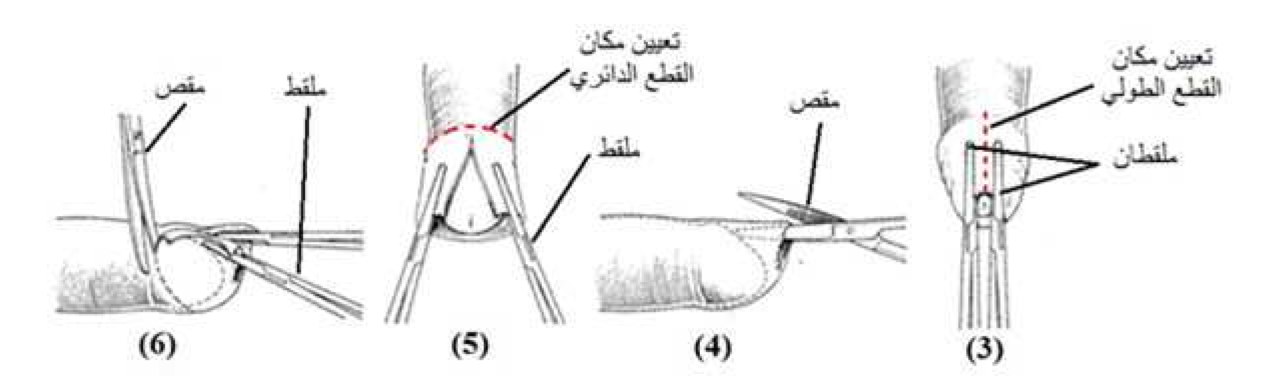
243) لاحظ الرسم البياني التالي الذي يوضح مراحل عملية ختان عصرية :



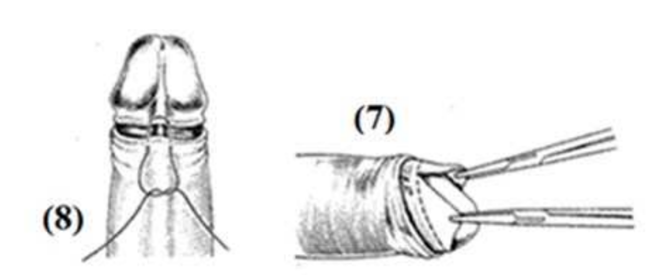
(1) في البداية، يتم محاولة تفريق الغرلة عن الحشفة.
(للتنبيه، فإن الغرلة تكون ملتصقة بالحشفة عند الأطفال الصغار و تفترق تدريجيا إلى أن تفترق بالكامل ما بين 3 و 18 سنة)



(2) بالاستعانة بالملقط يتم جذب الغرلة نحو الأمام بعد تفريقها عن الحشفة تحضيرا لقطعها بالمقص.

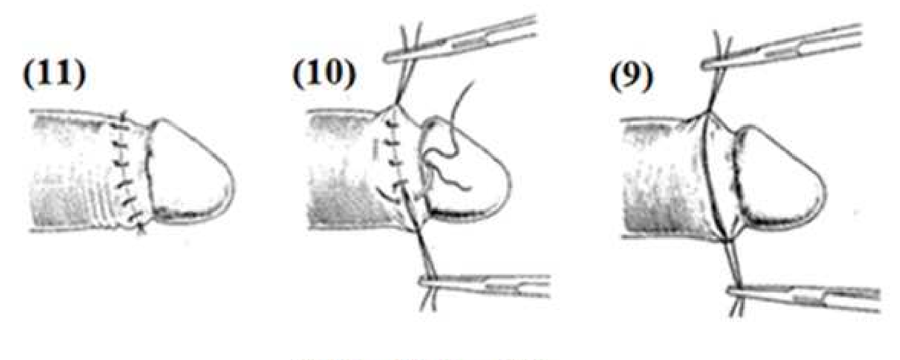


(3) و (4) بعد عزل الغرلة عن الحشفة، يتم الاستعانة بملقطين و مقص لقطع الغرلة في الاتجاه الطولي
(5) و (6) قطع الغرلة حول الحشفة



(7) و (8)

بعد الانتهاء من قطع الغرلة يقوم الخاتن بمحاولة تخثير الدم في الشرايين الكثيرة و الأوعية الدموية المتواجدة في هاته المنطقة من الجسم و سدها إن أمكن. في كثير من الحالات لا يتم تخثر الدم بسهولة و يبقى نزيف الدم مستمرا. أحيانا ينزف الدم بغزارة مما قد يؤدي بالطفل إلى فقدان الكثير من دمه بل و تعرضه لمضاعفات قد تصل حد الموت. ثم يبدأ الخاتن في تحضير عملية الخياطة



(9) و (10) و (11)

تتم عملية خياطة ما تبقى من جلد الغرلة ما بقية الجلد المحيط بالقضيب، و تنتهي العملية التي يعتبرها البعض سهلة و مألوفة. لكن انتهاءها قد لا يعني إلا بداية مضاعفات بعضها عادي و متوقع، وبعضها خطير قد يؤدي بالطفل إلى الموت. و بعضها يبدأ بعيد الختان و يصاحب المختون طوال سنوات حياته.



الاستمارة البحثية العاشرة :

هل تعرف المضاعفات المحتملة لعملية الختان ؟

244) هل تعلم أن إجراء عملية الختان، سواء لأسباب طبية أو لغيرها، كأي عملية جراحية أخرى، ينتج عنها ضرورة عدة مضاعفات و تعقيدات بعضها بسيط، و بعضها خطير قد تصل حد موت الطفل ؟

245) هل تعلم أن ظهور مضاغفات الختان ترتبط بعدة عوامل منها : طبيعة و مهنية الشخص الخاتن، و مكان القيام بالعملية، و المعدات المستعملة في ذلك، و طبيعة المتابعة الطبية بعد العملية في البيت و غيرها من العوامل ؟

246) هل تعلم أن نسبة ظهور مضاعفات بعد عمليات الختان، التي تجرى لأسباب طبية، و التي تجرى في عيادة الطبيب تتراوح ما بين 0,4% و 2% ؟ يشار إلى أن هاته الإحصائيات تتعلق بالعمليات الختانية التي تجرى في الدول الأوربية و أمريكا و كندا فقط، و لا تعكس حقيقة ما يجري في المغرب و غيره من الدول العربية و الإسلامية مع الفوارق. لكن من السهل تصور النسب المرتفعة في البلدان العربية لطبيعة الإطار الطبي و التقنيات و وسائل المتابعة التي لا يمكن بأي حال مقارنتها بطبيعة الإطار الطبي و التقنيات في الدول المتقدمة.

247) هل تعلم أن نسبة ظهور مضاعفات بعد عمليات الختان التي تجرى خارج العيادات الطبية تتراوح ما بين 35% و 48% ؟ أي أن ما بين 35 إلى 48 طفل من بين 100 طفل مختون يتعرضون لمضاعفات مختلفة الخطورة بعد ختانهم، كما سيتم بيانه فيما بعد.

248) هل تعلم أن نسبة ظهور مضاعفات و تعقيدات بعيد إجراء عملية الختان لأسباب دينية محضة هي نسبة 100% ؟ لأن الخاتن أو الطبيب لا يقوم بالعملية، كما تقتضي أخلاقيات و ظيفته لمعالجة مريض، بل إنه يتدخل لقطع نسيج جلدي سليم (الغرلة) من جسم طفل معافى لا يشتكي من داء في جهازه التناسلي. فعملية القطع تلك تمثل في حد ذاتها مضاعفات و تعقيدات غير محمودة العواقب الآنية و المستقبلية بعيدة المدى.



يا إلهي ... تعددت الوسائل، و القطع واحد

249) هل تعلم أن التعقيد الاكثر ترددا بعد عمليات الختان و الأخطر أيضا هو **النزيف الدموي** الحاد و تعذر تخثر الدم في الشرايين المقطوعة ؟

250) هل تعلم أن النزيف الدموي الحاد بعد الختان قد أودى بحياة العديد من الأطفال في كل البلدان التي تسمح بختان أبنائها لأسباب و دعاوي دينية ؟ لمزيد من المعلومات، يكفي البحث عبر الأنترنيت عن المئات من المقالات الصحفية، بكل اللغات، المخبرة عن عدة حالات وفاة أطفال برآء، ساعات فقط متأثرين بمضاعفات ختانهم و كانوا قبل ذلك يتمتعون بصحة جيدة و يبتسمون للحياة فحصدتهم آلة الختان القاتلة : اقرأ مثلا تلك الإحصائية الأمريكية الصادرة سنة 2010 و التي تشير إلى وفاة 117 طفل سنويا في أمريكا نتيجة مضاعفات الختان. و لأن الموضوع لا يخضع للمراقبة أو للإحصاء في بلداننا العربية، اقرأ ما تنشره الصحافة بين الفينة و الأخرى عن حالات خطيرة قد تصل إلى الموت من جراء الختان : اقرأ قصة موت الطفل **عبد الحي الوطاسي المغربي** الذي توفي بفاس سنة 2009 (السيد حميد شباط، الأمين العام لحزب الاستقلال يعرف بعض المعلومات عن هذا الحدث الاليم). اقرأ قصة النزيف الحاد الذي تعرض له الطفل **أنس عامر سالم الجهني السعودي** بالمدينة المنورة سنة 2013. اقرأ قصة هذا الطبيب الخاتن الذي عرض حياة العشرات من الأطفال للخطر، لولا تدخل الاسعافات، جراء عمليات ختان فاشلة في السويد قبيل سنتين. اقرأ قصة وفاة طفل، لأبوين مسلمين مقيمان في النرويج، سنة 2012 يومين فقط بعد ختانه متأثرا بمضاعفات خطيرة و قاتلة، و غيرها من القصص الدامية، و اجب على السؤال التالي من فضلك : **و إذا المختون سئل، بأي ذنب قد قتل ؟**

251) هل تعلم أن عملية ختان الأطفال تعرض الأطفال المختونين للإصابة بعدوى العديد من الجراثيم ؟ هل تعلم مثلا أن إمكانية إصابة طفل مختون بعدوى جرثومة المكورات العنقودية الذهبية (Staphylococcus aureus) أكبر بعشر مرات من إمكانية الإصابة بنفس الجرثومة من طرف طفل سليم غير مختون ؟

252) هل تعلم أن عملية الختان - بما هي قطع لمقدار عشوائي من الغرلة يقدره الخاتن - تعرض الطفل لأخطاء طبية قاتلة أحيانا و لأخطاء أخرى دائمة الأثر على جسمه و على نفسيته أيضا ؟

253) هل تعلم أن نسبة خطأ الخاتن، أثناء عملية القطع، نسبة عالية جدا نظرا لأن تقدير كم جلد الغرلة الذي يراد قطعه، متروك للقرار النسبي و العشوائي للخاتن الذي قد يقطع كل الغرلة، أو يقطع جزء منها، أو الغرلة و جزء من الحشفة، أو الغرلة و الحشفة و نصف القضيب، أو ما يزيد على ذلك بسنتيمترات عدة ؟

254) هل تعلم أن الختان يشوه العضو التناسلي الذكري سواء تعرض الطفل المختون لمضاعفات خطيرة أو لم يعان من ذلك بعيد العملية ؟ ما أثر ذلك على حياته الجنسية و النفسية عند كبره ؟

255) هل تعلم أن الختان قد يشوه بصفة دائمة مجرى البول، و قد يقطع لجام الغرلة نهائيا، و قد يشوه شكل الحشفة، و قد يحول الحشفة من جزء حي و حيوي إلى كومة ميتة سوداء لا وظيفة لها ؟





موت الحشفة و اعتلال القضيب نتيجة عملية ختان فاشلة. بإمكانك تصور المعاناة الصامتة لهذا الشخص المختون و حرمانه نهائيا من حياة جنسية سعيدة و ناجحة ... من المسؤول عن معاناته ؟

256) هل تعلم أن من مضاعفات الختان الفورية الملاحظة عند شريحة واسعة من الأطفال المختونين: التوقف المؤقت عن التنفس (apnée)، فقدان القلب لانتظام دقاته و تسارعها (Tachycardie)، مشاكل على مستوى الجهاز الهضمي و التقيؤ (Vomissements)، احتباس البول (Rétention urinaire)، تضيق و تقرح مجرى البول و غيرها ؟

257) هل تعلم أن عددا مهما من عمليات الختان يتم دون تخدير للطفل و ما ينتج عن ذلك من معاناة شديدة و من إغماء و فقدان الوعي من شدة الألم ؟

258) هل تعلم أن بعض الخاتنين يستعملون التخدير (البنج) الجزئي أو الكلي للمختون، مما قد يسبب عددا من المضاعفات متفاوتة الخطورة على الطفل المختون قد تصل إلى الغيبوبة الكلية و الموت؟

259) هل تعلم أن الأطفال الصغار الذين يتم تخديرهم كليا معرضون أكثر من غيرهم لمخاطر قد تصيب نظام دقات و عمل القلب و الجهاز التنفسي و غيرها، و قد تؤدي بالطفل المختون إلى الموت، خصوصا في غياب المتابعة الطبية بعد العملية؟

260) هل تعلم أن عملية الختان تترك آثارا و اضطرابات عميقة على نفسية الطفل، قد تظهر أعراضها في الحين و قد يتأخر ظهورها إلى عدة سنوات بعد العملية ؟

261) هل تعلم أن عملية الختان تشكل صدمة نفسية حقيقية بالنسبة للطفل المختون (خصوصا في غياب التخذير الكلي) ؟



طفل في حالة صدمة نفسية بعد تعرضه لعملية ختان

262) هل تعلم أن الطفل المختون، و لو كان وليدا، يحس بالألم و يسجله و يحفظ صدمة و آلام ختانه في "ذاكرة الألم" المعروفة (Mémoire de la douleur)، تلك الآلام التي تبعث من جديد في مستقبل أيامه، محدثة آلاما أخرى و اضطرابات نفسية صامتة أو معلنة ؟

263) هل تعلم أن الأليكسيثايميا Alexithymie، و هي اضطراب نفسي في الشخصية و في تواصلها مع محيطها - يتميز بصعوبة الفرد و عدم قدرته على الوعي و التعرف على العواطف و المشاعر التي تجيش في نفسه و التعبير عنها بالكلام، و تتميز أيضا بضعف القدرة على التخيل ؟ هل تعلم، حسب بعض المعطيات الميدانية للدراسة التي قام بها فريق البروفيسور سيفنيوس Sifneos من جامعة هارفارد الأمريكية، أن حوالي 10% من الناس الأسوياء العاديين مصابون بهذا الاضطراب ؟ هل تعلم أن الرجال المختونين، نتيجة صدمة الختان المبكرة، أكثر عرضة للإصابة باضطراب الأليكسيثايميا، مقارنة بالرجال غير المختونين، بنسبة تفوق 60% - حسب معطيات دراسة نشرتها "المجلة الدولية لصحة الرجال" *International Journal Of Men's Health* في عددها لشهر يوليوز 2011، و التي قام بها روبير فان هو *Robert S. Van Howe* و دان بولينجر *Dan Bollinger* ؟

264) هل تعلم ان اضطراب الأليكسيثايميا له نتائج و انعكاسات كثيرة - حسب دراسات أخرى نفسية متعددة - منها على سبيل الذكر لا الحصر : عدم القدرة على ضبط التفاعل مع المشاعر، ظهور اضطرابات في النوم، و ضعف التلقي و التحصيل الدراسي، و النهم في الأكل و الشراب، تكرر حالات الاكتئاب و القلق، النزوع إلى الانطواء على الذات و البعد عن الآخرين، ظهور اضطرابات سلوكية و اللجوء الأوتوماتيكي للقوة لحل المشاكل التي تعترض الشخص، و تفشي حالات العنف الأسري، اضطرابات في الأداء الجنسي، الإدمان على الكحول و المخدرات، ظهور آلام ظاهرها أعراض بدنية عضوية و باطنها أسباب نفسية مكبوتة و غير معلنة كآلام أسفل الظهر مثلا، ... و غيرها ؟

265) هل تتصور حجم معاناة رجل شوهته عملية الختان في طفولته بشكل دائم و منعته مضاعفاتها من العيش الكريم و الاستمتاع بحياة جنسية إنسانية و ناجحة ؟

266) هل تتصور حجم معاناة رجل فقد جزء هاما من عضوه التناسلي، جراء الختان في طفولته، فهو لا يستطيع القيام بأية علاقة جنسية و لا يستطيع الزواج أبدا ؟

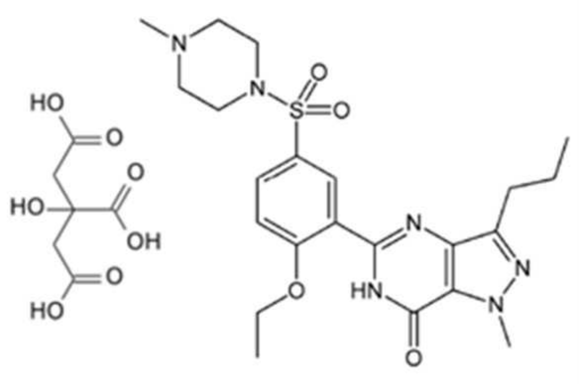
267) هل تعلم أن الختان يتسبب في تحول الغشاء المخاطي الرطب للحشفة إلى مجرد طبقة جلدية جافة و خشنة و أقل إحساسا و قابلية للتهييج ؟ هل تتصور حجم نتائج هذا التشويه على نجاح العلاقة الجنسية و على سعادة الزوجين و هناء الأسرة ؟

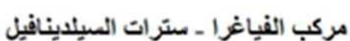
268) هل تعلم أن ختان الغرلة يحرم الشخص المختون من "آلية الانزلاق" (Mécanisme de glissement) المتمثل في توفير الغرلة لإمكانية انزلاق القضيب داخلها أثناء العلاقة الجنسية، ذهابا و إيابا، صعودا و هبوطا، بما يضمن لكلا الزوجين قسطا وافرا من الاستمتاع ؟

269) هل تعلم أن الرجال المختونين يعرفون مشاكل حقيقية، مقارنة بغير المختونين، فيما يعرف بمشاكل الانتصاب (Dysfonction Eréctile) و العجز الجنسي (Impuissance Sexuelle) ؟ هل تعلم أن الرجال المختونين هم أكثر عرضة لمشاكل الانتصاب و العجز الجنسي ب **4.5 مرة** مقارنة مع غير المختونين حسب نتائج نفس الدراسة - سابقة الذكر - التي قام بها روبير فان هو *Robert S. Van Howe* و دان بولينجر *Dan Bollinger* ؟

270) هل تعلم أن الأدوية و العقاقير المضادة للعجز الجنسي و المقوية للانتصاب و القدرة الجنسية تعرف ارتفاعا مذهلا لحجم مبيعاتها في الدول الأكثر "ختانا" مقارنة مع الدول التي لا تختن أبناءها بشكل روتيني أو لأسباب دينية ؟






مركب الفياغرا - سترات السيلدينافيل

أقترح عليك عزيزي القارئ هاته الجولة الاستكشافية في العالم المختون :

271) هل تعلم أن دول العالم الأكثر استهلاكا للفياجرا و لباقي الأدوية و العقاقير المضادة للعجز الجنسي هي تلك الدول التي تعرف نسب ختان مرتفعة بين صفوف أبنائها ؟ و إليك بعض الامثلة بالأرقام و الشواهد :

272) هل تعلم - على سبيل المثال - أن أقراص "**الفياجرا**" ***VIAGRA*** التي تنتجها شركة فايزر الأمريكية ***Pfizer***، و التي يتم تناولها لعلاج أعطاب العجز الجنسي و ضعف القدرة على الانتصاب - و المعروفة في الدول العربية باسم "الحبة الزرقاء" أو "العقار الأزرق" أو "بولا زرقا" بتعبير الشارع المغربي - تحقق ما يقارب من 60% من رقم معاملاتها بأمريكا - حيث نسبة الرجال المختونين تقارب 79% - و تحقق فقط 30% من رقم معاملاتها، أي نصف ما تحققه في أمريكا، بأوربا و اليابان مجتمعتين - حيث معدل المختونين لا يتجاوز 20% في أقصى الحالات (يكاد ينعدم الختان في اليابان و كثير من الدول الأوربية) ؟ للإشارة فعدد سكان أوربا و اليابان - تقريبا 623 مليون نسمة - يساوي **ضعف** عدد سكان الولايات المتحدة الامريكية - تقريبا 314 مليون نسمة. ما الذي يفسر في نظرك استهلاك "الغرب المختون" **أربعة أضعاف** استهلاك "الغرب غير المختون" لأقراص الفياجرا، علما أن نمط العيش و معدل الدخل الفردي في أوربا و اليابان يمكن مقارنتهما بنظيريهما في الولايات المتحدة الأمريكية ؟ لاحظ أن نسبة الختان في أمريكا تفوق **بأربعة أضعاف** نسبة الختان في أوربا؟ (بطبيعة الحال هناك أسباب عضوية للعجز الجنسي كداء السكري و أمراض الشرايين مثلا، بالإضافة إلى أسباب نفسية أخرى، لكن لما نقارن نسبة إصابة الأمريكيين مقارنة بالأوربيين بهاته الأمراض، بالاعتماد على أرقام المنظمة العالمية للصحة نجد أن النسب متقاربة جدا).

273) هل تعلم أن الولايات المتحدة الأمريكية، التي تمثل ساكنتها حوالي 4.5% من مجموع ساكنة العالم تستهلك لوحدها نسبة 47% من الفياجرا المنتجة في العالم كله (حسب المعطيات الرسمية لشركة فايزر نفسها) ؟ كيف ينبغي تفسير نهم الأمريكيين في استهلاك هذا الكم الهائل من الأقراص المنشطة جنسيا ؟

274) هل تعلم أن إسرائيل - حيث ختان الذكور يكتسي أهمية دينية عقدية بالغة كما سبق بيانه - تعرف نموا متزايدا لاستهلاك الأدوية المضادة للعجز الجنسي و لمشاكل الانتصاب ؟ هل تعلم أن استهلاك تلك الأدوية عرف ارتفاعا بنسبة 110% بين سنة 2005 و 2010 ؟ هل تعلم أنه خلال نفس الفترة ارتفع عدد الإسرائيليين المتعاطين للأقراص المقوية جنسيا، كالفياجرا، بنسبة 53% حسب إحصائيات نشرتها مصالح "**مكابي خدمات صحية**" في يناير 2011 ؟ للإشارة، فلإنجاز هذا البحث، وجدت صعوبة كبيرة في الحصول على معلومات بخصوص نسبة تفشي أمراض العجز الجنسي في إسرائيل بالذات، أو أرقام حجم مبيعات اقراص الفياجرا مثلا، فلم أجد مدخلا أو مرجعا لتلك المعطيات بخلاف باقي الدول. هل يتعلق الأمر بتعتيم على الأرقام أم أن جهلي باللغة العبرية هو المسؤول، لست ادري.

275) هل تعلم أن الدول العربية - حيث نسبة الختان باسم الله تفوق 80% - تعتبر من أكثر الدول معاناة من أعطاب العجز الجنسي و عدم القدرة على انتصاب قضبان أبنائها ؟

276) هل تعلم أن الدول العربية تنفق سنويا **أزيد من 10 مليار دولار** على الفياجرا و الأدوية المضادة للعجز الجنسي ؟ هل تعلم أن الدول العربية المنتظمة في جامعة الدول العربية تنفق على أعطابها و عجزها الجنسي **8 أضعاف** ما تنفقه سنويا لمساعدة السلطة و الشعب الفلسطيني - حيث تنفق فقط مليار واحد و مئتي مليون دولار سنويا منذ سنة 2012 ؟

277) هل تعلم أن هاته الدول تنفق على عجزها الجنسي و فقدانها القدرة على انتصاب قضبانها المنهوكة، بالختان و بشدة الطلب ايضا، ما يعادل مجموع ميزانيات أربع دول هي : موريتانيا و مالي و النيجر و السينغال ؟ للإشارة، فمجموع ميزانيات هاته الدول الأربع لسنة 2013 يقدر بحوالي **10 مليار دولار**. و يقدر مجموع ساكنتها ب 50.995.632 نسمة، أي ما يقارب من **ضعف** ساكنة السعودية مثلا.

278) هل تعلم أن السعودية - بلاد الحرمين الشريفين - تحتل **المرتبة السادسة عالميا** في استهلاك الأدوية و العقاقير المضادة للعجز الجنسي، حيث تنفق أزيد من **1.5 مليار دولار** على تلك الأدوية، يليها في المرتبة الشرفية مصر - كنانة الله في أرضه - التي تنفق مليار واحد و الإمارات العربية المتحدة بإنفاقها 500 مليون دولار على عجزها الجنسي ؟ من قال أن الدول العربية دول متأخرة في الترتيب العالمي ... للعجز الجنسي ؟ (في إحصائية أخرى وجدت أن المملكة الأردنية الهاشمية تنافس السعودية على المركز الأول - انظر المعلومات أسفله).

279) هل تعلم ان السعودية هي **ثالث زبون أساسي** لشركة فايزر و **ثالث مستهلك** لأقراص الفياجرا خصوصا في العالم كله ؟

280) هل تعلم أن 12% من السعوديين - على الأقل حسب التصريحات الرسمية - يعانون العجز الجنسي و أن 80% من المصابين يرجعون ذلك لأسباب نفسية ؟ (شيطان عقلي يوحي لي بأن تلك النسبة الرسمية ينبغي ضربها في معامل 5 على الأقل).

281) هل تعلم أن السعودية - المؤمنة جدا - تنفق **10 أضعاف** ما تنفقه روسيا - الملحدة جدا في زعم البعض - على أعطابها الجنسية ؟ علما أن عدد سكان روسيا يساوي **10 أضعاف** عدد سكان السعودية ؟

282) هل تعلم أن السعودية - الحاكمة بشرع الله - تنفق **7 أضعاف** ما تنفقه فرنسا - العلمانية - على أعطابها الجنسية ؟ علما أن عدد سكان فرنسا يساوي **أزيد من ضعف** ساكنة السعودية ؟

283) هل تعلم أن السعودية - حيث مقام إبراهيم عليه السلام - لا تبرر عجزها الجنسي بمضاعفات الختان أبدا بل ترجعه أساسا إلى تفشي داء السكري بين صفوف رعاياها الأوفياء ؟ هل تعلم أن

الارقام الإحصائية لمنظمة الصحة العالمية تحدد العدد التقريبي للمصابين بهذا الداء في السعودية ب 2.187.360 سعودي (فوق 20 سنة) - و هو عدد كبير بالفعل ؟ لكن هل تعلم أن نفس الإحصائيات تحدد عدد الروسيين المصابين بداء السكري في 6.054.444 و عدد الفرنسيين المصابين بنفس الداء بما يقارب 2.334.150 ؟ قارن بين هاته الارقام الإحصائية، و لاحظ أن عدد المصابين بداء السكري في السعودية **هو نفس** عدد الفرنسيين المصابين به تقريبا. بل الأكثر من ذلك، لاحظ أن عدد الروسيين المصابين بداء السكري يساوي حوالي **ثلاث أضعاف** عددهم في السعودية. في نظرك هل تبرير السعودية استهلاكها للمقويات الجنسية، بعلة داء السكري، تبرير مقنع أم أن التفسير الحقيقي ينبغي البحث عنه في اتجاهات أخرى قد يكون الختان أحد أهمها ؟ كيف تستهلك السعودية 10 أضعاف ما تستهلكه روسيا من ادوية الأعطاب الجنسية بعلة داء السكري علما أن عدد المصابين بداء السكري في روسيا يساوي 3 اضعاف عددهم في السعودية ؟ اين الخلل ؟

284) من جهة أخرى، قد يكون داء السكري و أمراض الشرايين و القلب و الدماغ من الأمراض التي قد تسبب أمراض العجز الجنسي، هل تعلم أنه خلال العشر سنوات الممتدة ما بين 1991 و 2001، بالاستناد إلى نفس إحصائيات منظمة الصحة العالمية، أنتج و نشر العقل الطبي الفرنسي 1407 بحث طبي لمكافحة هاته الامراض، في حين لم ينتج العقل الطبي السعودي إلا 51 بحثا فقط - بمعنى أن العقل الطبي الفرنسي أنتج **27 ضعف** ما أنتجه السعودي ؟ ألا يكشف ذلك عجزا كليا يترامى من مؤخرة الرأس إلى مقدمة القضيب ؟

285) هل تعلم أن مصر تصرف على قرص الفياجرا **ميزانية توازي دخلها** من عائدات قناة السويس و مجموع تحويلات المصريين في الخارج من العملة الصعبة - حسب ما نشرته جريدة "المصري اليوم" في عددها ليوم 30 ماي 2009 ؟ و أن نصف رجالها مصابون بالعجز الجنسي كما ورد ذلك في دراسة لشركة باير الألمانية Bayer في المؤتمر العالمي عن صحة الرجال المقام بمدينة نيس الفرنسية عام 2010 ؟ و أن 80% من حالات الطلاق بالمحاكم المصرية تحدث بسبب العجز الجنسي ؟

286) هل تعلم أن 49.9% من الرجال الأردنيين يعانون العجز الجنسي ؟ هل تعلم أن العجز الجنسي يصيب 53% من الرجال الأردنيين الذين تتراوح أعمارهم بين 40 و 60 سنة ؟ و يصيب 72% من الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 60 و 70 سنة ؟ و يصيب 89% من الرجال الذين يفوق سنهم 70 سنة ؟ هل تعلم أن 30% من الرجال الأردنيين يرتادون عيادات الطبيب للعلاج من هذا المرض ؟ هاته المعلومات نشرتها جريدة "الأردن تايمز" في ماي 2010.

287) هل تعلم أن الأردنيين قد أنفقوا حوالي 2 مليون أورو لشراء أدوية معالجة مشكل الانتصاب ؟ و ان الأردن قد استورد 248.181 علبة من المنشطات الجنسية سنة 2009 ؟ و ان الميزانية المخصصة من طرف الأردن لمعالجة مشاكل العجز الجنسي تفوق 5 مرات الميزانية المخصصة لعلاج داء السكري ؟ حسب نفس الأرقام التي نشرتها جريدة "الأردن تايمز" نقلا عن تقرير إحصائي أصدرته "إدارة الغذاء و الأدوية الأردنية".

288) هل تعلم أن أفغانستان المختونة أيضا، تستهلك كل سنة حوالي 4 ملايين قرص من "الحبة الزرقاء" - بالإضافة إلى ملايير أقراص "الحبة السوداء" و مقويات جنسية أخرى - لمكافحة أعطاب عجز رجالها الجنسي، حسب ما أوردته قناة BBC في خبر نشر يوم 18 يونيو 2012 ؟ للإشارة، فلقد فسر مراسل القناة شراهة الرجال الأفغان بتناول الأقراص الجنسية بالنتائج النفسية لظروف حرب تدوم منذ 34 سنة. انتبه كيف يبرر تناول الأقراص في السعودية بداء السكري و في أفغانستان بنتائج الحرب النفسية، فما مبررها في مصر الكنانة ؟

289) هل تعلم أن جريدة "الحياة" - في عدد 24 أبريل 2012 - نشرت نتائج دراسة أجرتها وزارة الصحة العراقية التي أكدت أن نسبة 50% من العراقيين يعانون عجزا جنسيا و يتناولون منشطات بهدف محاولة علاجه ؟ و ان 40% من الرجال دون سن الاربعين يعانون عجزا جنسيا؟ و أن الشعب العراقي يصرف سنويا ضعف ما تصرفه السعودية، أي حوالي 3 ملايير دولار، لمعالجة الأعطاب الجنسية بأقراص أغلبها يصرف في السوق السوداء ؟ و تعتبر الدراسة أيضا أن العراق أصبح معبر وصول الأقراص الزرقاء و غيرها إلى إيران و دول الخليج العربي.

290) هل تعلم أن تبرير استعمال الأقراص الجنسية في العراق - حسب ما أوردته الجريدة من تفسير للدكتور رافد علاء الخزاعي، أستاذ الطب الباطني في الجامعة المستنصرية - يرجع اساسا إلى التدخين و تناول الكحول الذي يؤدي إلى وهن الأعصاب و ضمور الخصيتين ؟ لم لا يبرر الاستعمال المهول للأقراص الزرقاء إلى الحرب كما فسر ذلك في أفغانستان أو إلى داء السكري كما فسر ذلك في السعودية ؟ كيف و لم تختلف التبريرات لاستعمال نفس الأقراص و المنشطات الجنسية من بلد عربي-إسلامي لآخر ؟

291) هل تعلم أن تونس حسب خبر نشرته الوكالة الفرنسية للصحافة AFP - و هي للإشارة آخر دولة في العالم رخصت لبيع الفياجرا عام 2012 بعد سقوط حكم بنعلي بسنة واحدة - تبيع شهريا في صيدلياتها 42.800 حبة فياجرا بالإضافة إلى 100.000 حبة من عقارين مشابهين هما "فياتيك" و "زلتان" اللذين يتم تصنيعهما في تونس مع سماحها مؤخرا لشركة ثالثة بتصنيع المنشطات الجنسية فوق ترابها ؟ أي أن تونس الخضراء، تبيع سنويا لرجالها الفحول ما يقرب من 2.000.000 قرص أزرق، أو متعدد الألوان و الأشكال، علما أن عدد رجالها البالغين من العمر أكثر من 20 سنة لا يتجاوز 3.500.000 ؟ إلام تعزى شراهة التونسيين بحبات الفياجرا و أخواتها ؟ هل يعزى ذلك إلى داء السكري كما تدعي السعودية أو إلى التدخين كما يزعم العراق أو إلى الحرب كما يبرره شيوخ الأفغان أو إلى ثورة الياسمين التي ادت بسقوط حكم بنعلي الظالم الذي قهر التونسيين بالمعاناة السياسية و الجنسية أيضا ... أم إلى عواقب الختان ؟

292) لنقترب شيئا ما من الحدود الشرقية للوطن الحبيب، و نرى الوضع عند الجارة الجزائر، هل تعلم أن الإحصائيات الأخيرة التي كشف عنها تقرير صادر عن "عمادة الأطباء الجزائريين" يعتبر أن 60% من الجزائريين يعانون من ضعف جنسي مؤقت يزول بزوال أسبابه، و أن 75% من الجزائريين، الذين تتراوح اعمارهم بين 50 و 60 سنة، يعانون ضعفا جنسيا مؤقتا بسبب بعض الأمراض المزمنة ؟ هل تعلم أن الدكتور الجزائري رشيد حميدي يرجع اسباب استفحال

امراض العجز الجنسي في الجزائر إلى : **الأخطاء المرتكبة أثناء الختان** و انسداد الشرايين و غيرها، حسب ما نشرته جريدة "الشروق الجزائرية" على صفحتها الإلكترونية بتاريخ 4 يناير 2014 ؟

293) هل تعلم أن استهلاك "الفياجرا" في الجزائر يعرف ارتفاعا مذهلا من سنة لأخرى حسب ما نشرته جريدة "النهار" على موقعها الالكتروني ليوم 9 مارس 2012 ؟ و انه خلال أربع سنوات فقط عرف استهلاك الفياجرا ارتفاعا بنسبة 90% مع الإشارة إلى احتمال ارتفاع الاستهلاك أكثر؟ و أن عدد تجار "الحبة الزرقاء" و الحبوب الاخرى، ببلد المليون شهيد، يفوق عدد تجار المواد الغذائية تلبية لحاجات ملايين العاجزين جنسيا من كل الأعمار ؟

بعد هذه الجولة القصيرة، ما حقيقة العجز الجنسي في المغرب ؟

294) هل تعلم أن المغرب هو **ثالث دولة في العالم** رخصت لبيع "الأقراص الزرقاء" سنة 1998، مباشرة بعد سويسرا و الولايات المتحدة الأمريكية ؟ (انتبه جيدا فهاته الدول الثلاث تختن أبناءها، او تسمح بذلك بدرجات متفاوتة : المغرب أولا بنسبة تقارب 100% ، ثم أمريكا ثانيا بنسبة 79%، ثم سويسرا بنسبة 20% نظرا لتواجد الطائفتين اليهودية و العربية الإسلامية بها).

295) هل تعلم أن المغرب هو **ثاني دولة في العالم**، بعد الولايات المتحدة الأمريكية، في إنتاج و تصنيع "أقراص الفياجرا" بفرع شركة فايزر الأمريكية بمدينة الجديدة ؟ حيث يتم إنتاج 15 مليون علبة سنويا حسب المعلومات التي نشرتها جريدة "الايكونوميست" في عددها رقم 3459 بتاريخ 3 فبراير 2011.

296) هل تعلم أن تجارة الأقراص المضادة للعجز الجنسي و الأدوية المنشطة للانتصاب، عرفت نسبة نمو تجاري تساوي 30% سنة 2012 ؟ و انها احتلت مرتبة **ثالث دواء** يستهلكه المغاربة بعد المضادين الحيويين "أوغمونتان" و "أموكسيل" و كذا دواء الحساسية "الفونتولين" ؟ و أن قرص "الفياجرا" المصنع محليا يأتي في طليعة الأقراص المنشطة جنسيا، حيث بيع منه في الصيدليات **212.000** علبة سنة 2011 - بمعدل نمو سنوي يقارب 9% - و بيع من منافسه الأقوى و الارخص أيضا، الملقب ب "ايريكتور" Erector ما يقدر ب 1.100.000علبة - بمعدل نمو سنوي يقارب 28% - من دون الاخد بعين الاعتبار ملايين الأقراص الأخرى التي يتم تسريبها من الخارج و تصريفها عبر السوق السوداء ؟ هاته الأرقام اوردتها جريدة "لافي إيكو" في عددها ليوم 2 أبريل 2012.

297) هل تعلم أن 40% من الشباب المغربي، دون سن العشرين، مدمنون على الأقراص الزرقاء و الحمراء و الصفراء و الخضراء، المسوقة في الصيدليات أو في السوق السوداء، و غيرها من المنشطات المضادة للعجز الجنسي ؟

298) هل تعلم أن المغاربة يستهلكون سنويا ما يقدر ب **8 مليون و 200 ألف حبة** من المنشطات الجنسية المختلفة الأسماء و الألوان و المصادر ؟

299) هل تعلم أن المغاربة، بكل شرائحهم الاجتماعية، يستهلكون مئات الأطنان - في استحالة وجود إحصائيات رسمية في الموضوع - من أدوية و "عطرية" أخرى تقليدية لتنشيط قدراتهم الجنسية و استعادة حيويتها، و منها على سبيل الذكر لا الحصر : الحبة السوداء، زنجلان، سكين جبير، المروزية، راس الحانوت، المساخن، المعجون، البقدنوس، البصل، التمر، الحمص، ... ؟

300) هل تعلم أن المغاربة يصرفون أموالا طائلة جدا لعلاج عجز بعضهم الجنسي - لست أدري تقدير تلك الأموال بملايير الدراهم سنويا - في الارتداد على "الشوافة" و "السحارة" و "قارئة الطالع" و "ضاربة اللدون" و "الفقيه" و أيضا على "سيدي يحيى بن يونس" و "سيدي بليوط" و "سيدي عبد الرحمن مول المجمر" و "لالا عيشة البحرية" و "مولاي بوشعيب الرداد" و "لالا يطو" و "مولاي عبد الله امغار" وغيرهم من الأولياء و السادات، في بلد بات يعرف في العالم ببلد 100.000 ولي و ضريح و بلد 1.000.000 شوافة وفقيه، حتى انه لا يخلو حي من "فقيه" و "شوافة" على الأقل، و لا تخلو قرية قريبة أو نائية من "ضريح" ... "**أوْشَايْلاَّهَا مُولْ الدَّقَّة بْبَطْلَة**" كما يقال ؟

301) هل تعلم أن المغاربة ينفقون سنويا **122 مليون درهم** لإصلاح أعطابهم الجنسية ؟ أي حوالي **8 أضعاف** الغلاف المالي الذي تخصصه "وزارة الثقافة" المغربية لدعم قطاع النشر و التوزيع و تزويد الفضاءات العامة و المؤسسات بالكتب و المجلات ؟ و أزيد بكثير من قيمة الغلاف المالي الذي ترصده "وزارة الاوقاف و الشؤون الإسلامية" للتغطية الصحية لائمة المساجد و للمؤذنين للصلاة و لعائلاتهم ؟

302) هل تعلم أن عدد المغاربة الذين يعانون عجزا جنسيا يتجاوز **3 ملايين رجل** - للإشارة، فحسب معطيات منظمة الصحة العالمية، يقدر عدد المصابين بداء السكري بالمغرب بحوالي **782.000** من الرجال و النساء و من كل الفئات العمرية، يعني أن عدد المصابين بالعجز الجنسي من الرجال يساوي حوالي **8 أضعاف** الرجال المصابين بداء السكري، مما يجعل تفسير العجز الجنسي بداء السكري **فقط** أمر لا يستقيم و لا يمكن الاعتماد على الأرقام لتبريره ؟

303) هل تعلم أن العجز الجنسي بالمغرب يصيب 34% من بين الرجال الذين تتراوح اعمارهم بين 30 و 39 سنة ؟ و يصيب 56% من بين الرجال الذين تتراوح اعمارهم بين 40 و 49 سنة ؟ و يصيب 71% من بين الرجال الذين تتجاوز أعمارهم سن الخمسين (حسب تصريحات تناقلتها المواقع الإلكترونية المغربية، للدكتور بنميمون المدير الطبي لمختبرات فايزر المغرب) ؟

304) هل تعلم أن الدكتور الاختصاصي محمد جمال الفاسي - أستاذ علم أمراض المسالك البولية بجامعة الطب بفاس - كتب و نشر بحثا في مارس 2012، رفقة زميله الدكتور جلال الدين العماري، عن العجز الجنسي و عدم القدرة على انتصاب القضيب، حدد في مقدمته نسبة الرجال

الذين يعانون، بشكل أو بآخر من هذا العجز، بنسبة 50% من مجموع الرجال ؟ للإشارة، نشر البحث في مجلة "إيسبيرونس ميديكال" Espérance Médicale عدد رقم 186.

305) هل تعلم أن حكومة السيد عبد الإله بنكيران ـ التي يشهد عهدها الرفع من أسعار عدة مواد أولية و أساسية كالطاقة الكهربائية و الماء و المحروقات و مشتقات الحليب و غيرها ـ قررت على لسان وزيرها المكلف بقطاع الصحة، السيد الحسين الوردي، تخفيض ثمن قرص الفياجرا أو "لبولا زرقا" بنسبة 50% و ذلك ابتداء من 9 يونيو 2014 ؟ تصور أثر ذلك التخفيض الحكومي على الزيادة في مبيعات تلك الأقراص و على معدل نمو شركة فايزر و على أسهمها في البورصة.

306) هل تعلم أن الأرباح الصافية لشركة فايزر الأمريكية ارتفعت بنسبة 180%، بين سنة 2008 (6.149.922 أورو) و سنة 2012 (11.046.705 أورو) في عز الأزمة الاقتصادية العالمية التي عصفت بالاقتصاد الأمريكي أولا قبل أن تنتقل عدواها إلى كل اقتصادات العالم ؟

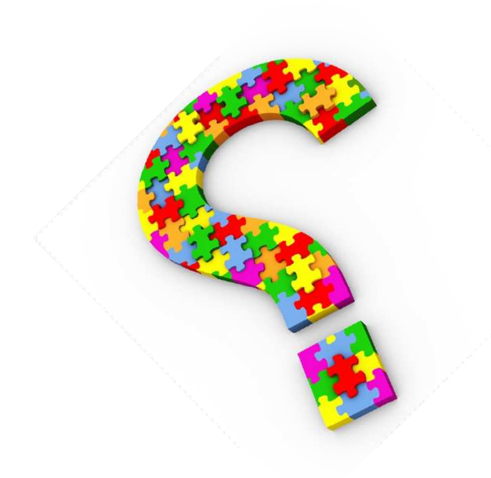
وبعد،

307) ألا ترى أن الاستمرار في تأبيد الختان و إخضاع الأطفال له، هو أيضا استمرار في ضخ **ملايير الدولارات** سنويا في جيوب المستثمرين في الأعطاب الجنسية لضحايا الختان ؟ ألا ترى أن ختان أبنائنا، بما هو إضعاف لعضوهم التناسلي بقطع عناصره الحيوية، هو بداية سجنهم داخل قفص شركات الأدوية العالمية و مختبراتها و لوبياتها الضاغطة، لتستثمر في مأساتهم و تجني الأرباح الصاروخية كل عام، فتبيعهم اليوم الأقراص المنشطة لمداواة عجزهم الجنسي، و تبيعهم غدا أدوية اخرى لمعالجة مضاعفات تناولهم و إدمانهم على الأقراص ... و هكذا دواليك ؟

308) أيضا، هل تعلم أن العديد من حالات الطلاق، في المغرب و في غيرها، سببها الرئيسي فشل العلاقة الجنسية بين الزوجين، نتيجة عجز احدهما او كليهما ؟

309) ألا ترى أن لنتائج الختان على صحة المختونين، و فشل العلاقات الجنسية بين الزوجين، آثارا و مضاعفات اجتماعية في مقدمتها الطلاق و ما ينتجه من تفكك الأسر و ضياع الأطفال و ما يصاحبه من مشاكل مادية و نفسية عميقة لا يستهان بها ؟

310) ماذا لو اهتمت الجامعات المغربية و مراكز البحث و طلائع الباحثين و الدكاترة في كل المجالات و الأطباء و النفسانيون و السياسيون و الاقتصاديون و رجال القانون و رجال الدين بموضوع الختان، و رفعوا عنه غطاء التقديس و كسروا عنه حواجز الصمت المحيطة به، و تناولوه من كل جوانبه، و أعادوا النظر في مبرراته، و درسوا نتائجه على الفرد و الأسرة و المجتمع و العالم اجمع، بمنهجياتهم العلمية و القانونية و نشروا نتائج بحوثهم بشجاعة و صدق تنويرا للناس و تحريرا لأجسادهم من العبث و من الاستعمار الاقتصادي الجديد، الذي يكتفي باكتساح بعض السنتيمترات الربعة من أجساد أبنائنا للاستثمار فيها بالأدوية غالية الثمن بعد ذلك ؟



الاستمارة البحثية الحادية عشر :

ماذا عن تلك الشبهات المبررة للختان؟

311) يعتبر بعض الداعين إلى تأبيد الختان و استمراره أن الغرلة المقطوعة ليست إلا قطعة جلد تافهة، و بدون أي وظيفة تبرر وجودها. فهل تعتقد بصحة هاته الشبهة، بعد كل ما بيناه في الاستمارات البحثية السابقة من ادوار أساسية و وظيفية هامة تقوم بها و توفرها للعضو التناسلي الذكري ؟ هل خلق الله تلك الغرلة عبثا و خطأ حتى يقوم الخاتن بتصحيحه ؟ هل الغرلة خطأ في الخلق يصححه الخاتن بالقطع ؟

312) يزعم بعض الداعين إلى تأبيد الختان و استمراره - و على رأسهم العديد من الاطباء المختونين - أن الختان يقي من الأمراض المعدية (داء فقدان المناعة المكتسبة مثلا) مستعينين في ذلك بدراسات طبية ميدانية أجريت هنا و هناك. فهل اطلعت أنت شخصيا على هاته الدراسات ؟ هل اطلعت على موضوعاتها و أسئلتها ؟ هل اطلعت على عيناتها و ظروف انجازها ؟ هل اطلعت على نتائجها ؟ هل اطلعت على طبيعة توجه القائمين بها ؟ هل تأكد لك موضوعيتهم و حيادهم الإيديولوجي و الديني ؟ هل اطلعت على الجهات الممولة لتلك الدراسات ؟ ثم، هل تعلم أن هناك دراسات كثيرة اخرى طبية و ميدانية تثبت عكس ذلك، أو على الأقل، تقلل من شأن مصداقية نتائج الدراسات الأولى بتسليط الأضواء على نواقصها و أخطائها و ضعف حجتها ؟ ثم، هل سألت نفسك ما كانت مبررات الختان الطبية قبل اكتشاف داء فقدان المناعة المكتسبة ؟ و هل اختفى داء المناعة المكتسبة من المجتمعات الإسلامية المحافظة ؟ هل لديك فكرة عن نسبة انتشار السيدا في بلدان تختن كل اطفالها كالمغرب و السعودية و بلدان تختن عددا كبيرا من أطفالها كأمريكا و انجلترا و كندا و كثير من الدول الإفريقية؟ هل لديك فكرة عن نسب انتشار السيدا بها ؟ هل تختفي السيدا عند المختونين و تعتدي فقط على غير المختونين؟

313) يزعم بعض الداعين إلى الختان أن هذا الأخير يقي المختون من سرطان القضيب، ربما يحتمل قولهم نسبة صفرية من الصواب. هل تعلم أن نسبة المختونين عبر العالم لا يتجاوز 30% من الذكور، أي أن أكثر من 70% من رجال عالمنا غير مختونين، فما هي نسبة غير المختونين المصابين بسرطان القضيب و كذلك نسبة المختونين لنقارن بين النسبتين ؟ أعترف لك عزيزي القارئ أنني بحثث عن هذه المعلومة فلم أجد شيئا. ثم لماذا لا نعتمد نفس منطق القطع و البتر الاستباقي لحماية النساء من سرطان الثدي مثلا ؟ لماذا لا نقطع أثداء الفتيات في بداية سن بلوغهن لحمايتهن من سرطان الثدي الذي قد يصيبهن و قد أصبحن راشدات ؟ لماذا لا نقطع أرحامهن لحمايتهن من سرطان عنق الرحم الشائع بين النساء ؟ لماذا لا نقطع التنفس و الحياة معه لحماية الناس من سرطان الرئة ؟

314) يزعم البعض أن الختان يضمن نظافة و طهارة العضو التناسلي الذكري. بل إن اسم عملية الختان المشهور في المغرب الأقصى هو "الطهارة". إذ حين يريد أحدهم إخبار صاحبه بأنه ختن ابنه، يقول له : "لقد طهرته". فبناء على ما سبق في الاستمارات البحثية، هل هذا الادعاء منطقي و سليم من وجهة نظر الفيزيولوجيا و من وجهة نظر الخلق في أحسن تقويم ؟ ثم متى كان قطع أعضاء الجسد، بطريقة استباقية، وسيلة وقائية ناجعة للتنظيف و التطهير ؟ أليست الغرلة جزء وظيفيا من الجسد تماما كالأسنان، فهل نقلع الأسنان لتنظيفها، أو خوفا من تسوسها في المستقبل، أم ننظفها يوميا بالماء و الفرشاة و السنون ؟ أليست الغرلة جزء وظيفيا كالأنف، فهل ننظف

الأنف عدة مرات في اليوم بالماء، استنشاقا و استنثارا، أم نقطعه من جذوره حتى لا يتسخ بتاتا ؟ أليست الغرلة جزء وظيفيا تماما كالأيادي و الارجل، فهل ننظف الأيادي و الارجل بالماء و الصابون أم نقطعها من أطرافها حتى لا تتسخ ؟ أي منطق هذا الذي يجعل الحز و القطع و القلع و البتر حلولا استباقية للتنظيف و التطهير؟

315) يقارن بعض الداعين إلى الختان، و المبررين له بنصوص الحديث، أن قطع الغرلة سنة من سنن الفطرة (و هي للتذكير حسب الأحاديث السابق ذكرها : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الرأس، و تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر الغائط والبول بالماء ...). و يذهب بعضهم إلى مقارنة قطع الغرلة بحلق الشعر أو قص الشارب أو تقليم الاظافر. فهل تتفق مع هاته المقارنات بناء على ما سبق توضيحه و بيانه ؟ هل يمكن مقارنة الغرلة (بمكوناتها الحية من خلايا، و شرايين دموية، و نهايات حسية، و ألياف عصبية و غدد مفرزة لأنزيمات و لمرطبات و لإفرازات حامية ضد البكتيريا ...) هل يمكن مقارنة ذلك مع الشعر الذي ليست له طبيعة حية بل هو عبارة عن بروتين الكيراتين (Kératine) تنتجه خلايا أخرى متجددة باستمرار ؟ هل عندما نقطع الغرلة تنبت و تنمو غرلة أخرى مكانها تماما كما ينمو شعر جديد مكان شعر محلوق ؟ ألا ترى أن هناك فوارق منطقية لا يختلف حولهل اثنان، بين الغرلة و الشعر حتى نجعل قطع الأولى مساويا لحلق الأخير في القيمة و الدرجة و النتائج ؟ ثم، هل يمكن مقارنة الغرلة بالأظافر التي نقلمها ؟ هل تعلم أن الأظفر أيضا مكون من مادة الكيراتين، كالشعر تماما و هو ينمو بعد تقليمه كنمو الشعر بعد حلقه ؟ ألا ترى أن هاته المقارنة أيضا غير سليمة بتاتا ؟ ثم، إذا أردنا مقارنة الغرلة بعضو آخر من أعضاء الجسم، فلنقارنها بما يشبهها في الخصائص البيولوجية و الفيزيولوجية و العصبية، و لنلاحظ ما سيقع لو قمنا بقطع ذلك العضو المقارن معه ؟ لنقارن الغرلة إذن بجفن العين، لتشابه المكونات و الوظائف، ماذا سيقع للعين لو بترنا و قطعنا الجفن المحيط بها - لا تحاول عزيزي تصور ذلك فالمنظر بشع جدا ؟ و أخيرا، لماذا يقيم الفقهاء و الداعون إلى الختان الدنيا و لا يقعدونها لفرض الختان - بزعمهم أنه من سنن الفطرة - لكنهم لا يتبنون نفس السلوك من أجل فرض تقليم الأظافر، و حلق شعر العانة و المضمضة و غسل الدبر من اثر الغائط و هي كذلك في عرفهم و نصهم من سنن الفطرة ؟ أليست كلها من سنن الفطرة ؟

316) يدعي البعض أن الطفل المختون لا يحس بالألم إذا ختن وليدا صغيرا ؟ من أخبرهم بذلك ؟ هل الإحساس بالألم حكر على الكبار دون الصغار ؟ ما قول العلم و الطب في ذلك ؟ ألا يعتبر الطب أن الجنين في بطنه أمه يحس بالألم بله الطفل الوليد ؟ و هل ادعاء عدم إحساس الطفل بالألم يعطي الحق لولي أمره أن يعبث في جسده بالقطع و الحز و الختان و التشويه كما شاء ؟ ما رأيك؟

317) يدعي البعض أن الختان عملية بسيطة و لا تأثير لها على وظائف العضو التناسلي. كيف يستقيم أن ننقص من المكونات الوظيفية لعضو ما و من شكله من دون ان يطرأ أي اختلال في عمله و في وظائفه ؟ تصور لو نقطع جفنا من العين، هل ستبقى العين عينا دون أن يطرأ عليها أي تغير في تأدية وظائفها و في سلامتها أيضا ؟ تصور لو نقطع إصبعا من اليد، هل ستستطيع اليد القيام بوظائفها كما لو كانت سليمة معافاة من كل بتر ؟



الاستمارة البحثية الثانية عشر :

و بعد، فهل ستختن ابنك ؟

318) هل اتباع نصوص ظنية و تقاليد قديمة مع احتمال تعريض ابنك لمخاطر و مضاعفات الختان السابق بيانها، أهم في نظرك من احترام حق ابنك في التمتع بجسم كامل و بجسد سليم و غير مختون ؟ هل طاعة فقهاء الختان و أنصاره أهم في تقديرك من سعادة ابنك و تمتعه بنعم الله عليه و بخلقه في احسن صورة و تقويم ؟

319) إذا كنت تؤمن بأن ختان الذكور سنة واجبة، بناء على بعض الاحاديث، فهل تعلم بوجود أحاديث أخرى تجعل من ختان النساء سنة و مكرمة ؟ فهلا اتبعت نفس المنطق، و اقتفيت نفس المنهج و ختنت زوجتك و بناتك اقتفاء بالسنة ؟ كيف تفرض الختان على ابنك رغبة منك في احترام نص ديني، و تعفي بناتك و زوجتك منه بالرغم من وجود نصوص دينية تؤصل لختان الإناث أيضا ؟ إذا رفضت ختان بناتك و زوجتك، فكيف تفسر هذا الرفض الانتقائي و سلوك الكيل بمكيالين؟

320) تخيل أن عشيرتك و قبيلتك و إخوانك في الدين قد انتهوا، لسبب او لآخر، عن ختان أبنائهم. فهل ستختن أنت ابنك أم أنك ستنتهي عن فعل ذلك اقتداء بهم ؟

321) أليس من واجبك - و أنت تعزم على تعريض ابنك لأخطار حقيقية أو محتملة، و تنوي قطع جزء من جسده - أن تأخذ رأي ابنك في المسألة و تعرضها عليها و تترك له حرية الاختيار و تقرير مصير عضو من جسده ؟ تماما كما طلب النبي إبراهيم من ابنه رأيه في رؤياه كما يروي القرآن الكريم تفاصيل ذلك : "**إني أرى في المنام أني أذبحك، فانظر ماذا ترى ؟**"، إن كنت بالفعل تنوي ختان ابنك قدوة بالنبي إبراهيم فلم لا تقتد به في طرح الأمر على ابنه إسماعيل و طلب رأيه في الموضوع ؟

322) هل خول لك أحد و أعطاك صلاحية التدخل بالقطع و تشويه جسد ابنك ؟ هل لك الحق في فعل ذلك الأمر ؟

323) هل ابنك على علم بما تنوي فعله حقيقة، أم انك ستحتال عليه بالكذب، و ستترك آخرين يعبثون بجسده و قد يصيبونه بعاهة مستديمة و قد يودون بحياته و يرسلونه بعد ساعات ملتحفا في خرقة بيضاء إلى القبر و الدود و الحشرات اللاحمة لتنهش عظامه و لحمه ؟

324) هل تقبل أن يقطع أحد عضوا من جسدك دون عذر طبي قاهر و دون أخذ إذنك ؟ فلم تقبل أن تقطع جزء من جسد ابنك دون عذر طبي و دون استشارته ؟

325) هل تعلم أن الطبيب الذي سيختن ابنك - في حال كونه طبيبا - قد أقسم بالله العلي العظيم فيما يعرف ب "**قسم الطبيب**" يوم حصوله على شهادة الدكتوراة ؟ هل تعلم أنه رفع يمينه أمام الملأ الحاضرين و قال : "**اقسِمُ باللهِ العَظِيمْ، أن أراقبَ الله في مِهنَتِي، وأن أصُونَ حياة الإنسان في كافّةِ أدوَارهَا، في كل الظروف والأحَوال، بَاذِلاً وسْعِي في استنقاذها مِن الهَلاكِ والمرَضِ والألَم والقَلق، وأن أحفَظ لِلنّاسِ كَرَامَتهُم، وأسْتر عَوْرَتهُم، وأكتمَ سِرَّهُمْ، وأن أكونَ عَلى الدوَام من**

وسائِل رحمة الله، باذلا رِعَايَتي الطبية للقريب والبعيد، للصالح والخاطئ، والصديق والعدو، وأن أثابر على طلب العلم، أُسَخِره لنفعِ الإنسَان لا لأذَاه، وأن أُوَقّرَ مَن عَلَّمَني، وأُعَلّمَ مَن يَصْغرَني، وأكون أخاً لِكُلِّ زَميلٍ في المِهنَةِ الطبّيّة، مُتعَاونِينَ عَلى البرِّ والتقوى، وأن تكون حياتي مِصْدَاق إيمَاني، في سِرّي وَعَلانيَتي، نَقيّةً مِمّا يُشينهَا تجَاهَ الله وَرَسُولِهِ وَالمؤمِنين" ؟
إن نسي الطبيب ذلك العهد و القسم، ذكره به و اقرأه عليه و اسأله إن كان ختانه لابنك يحترم ذلك العهد و لا يحنث ذلك القسم ؟

326) بناء على ما سبق، هل ختان الطبيب لابنك صيانة لحياته أم تعريض لها، لغير سبب طبي قاهر، لخطر النزيف و الهلاك و الموت ؟

327) هل ختان الطبيب لابنك سعي لاستنقاذ ابنك من الهلاك و المرض و الألم و القلق ؟ هل هو وسيلة من وسائل رحمة الله ؟

328) هل ختان الطبيب لابنك حفظ لكرامة ابنك و ستر لعورته أم انتهاك لكرامته و كشف لعورته، الآن و غدا ؟

329) هل ساعدتك هاته الاستمارات البحثية عن تحديد موقفك من ختان ابنك ؟

330) هل قررت ختان ابنك بعد الاطلاع على كل ما سبق بيانه ؟



خاتمة الكتاب :

قبل أن تغلق هذا الكتاب لتفتح غيره

لقد وضعت بين أيديكم أيها الوالدان الكريمان، أيها القارئة و القارئ، جملة التساؤلات و الأسئلة التي صاحبتنا أنا و زوجتي طوال الثمان سنوات الفارطة، و لا تزال. و كلي أمل أن تساعدكم على تلمس الطريق المؤدية إلى اتخاذ القرار السليم، بخصوص ختان ابنكما من عدمه. إنني أضع بين أيديكم بكل مسؤولية **330 تساؤل مشروع**، و أزيد من **630 علامة استفهام**، ينبغي التوقف عندها قليلا، و التفكير فيها بتأن قبل حمل ابنكما، دون إرادته، ووضعه بين يدي الحجام أو الطبيب الخاتن. تلك التساؤلات و الأسئلة التي ساعدتني، رفقة زوجتي، على اتخاذ قرار عدم ختان قرة أعيننا الآن، و حمايته من مقص الحجام و من مشرط الطبيب، في غياب أي عذر طبي قاهر يستوجب الجراحة كحل علاجي نهائي لا بديل عنه.

لقد قررنا الانتظار حتى يكبر ابننا، و يصبح قادرا على اتخاذ قرارات تخص سلامة جسده بنفسه، احتراما منا لسيادته على كامل جسده دون تجزيئ، عندها نخبره عن تقليد الختان و تاريخه، و عن أقوال و آراء المدافعين عنه، و عن آقوال و آراء الرافضين له. حتى إذا تم ذلك في إطار من الحب و الرحمة و الحوار الهادئ و الاحترام المتبادل سألناه سؤال النبي إبراهيم لابنه : "**فانظر ماذا ترى؟**"، تاركين له حق التفكير و الاختيار و تقرير مصير غرلته بنفسه : هل يحفظها كاملة و نقية و طاهرة كما خلقت حتى تؤدي ادوراها العضوية و الجنسية و تسهم في إسعاده ؟ أم يقطعها ويضحي بها علامة انتمائه لقوم مختونين، ربطوا إيمانهم بالله العظيم بانتقاص أعضائهم التناسلية، و رهنوا صحتهم و سعادتهم الجنسية بأقراص الفياجرا و بوصفات الدجالين و المشعودين.

لقد اضطلع هذا البحث بالتذكير أولا بخلو القرآن الكريم تماما من الختان نصا و روحا و معنى. ثم ذكر ببعض حقائق التاريخ العربي و الإسلامي المنسية - و التي يراد لها ان تبقى كذلك - فيما يتعلق بصناعة نصوص دينية جديدة، ما أنزل الله بها من سلطان، من تفاسير إسرائيلية و سير نبوية و أحاديث توراتية بخارية شعوبية، و فقه وثني سني و شيعي، اهتم بالشكل و الأصنام و غفل عن المضمون و الأفكار، ولدت و تمت صياغتها في ظروف سياسية دموية، غلب عليها طابع تطويع الدين و الركوب عليه، لتحقيق مآرب السلطة - انطلاقا من بني أمية و بني العباس و بني علي و تابعيهم - و استعباد الناس بالحديث النبوي الهريري الع باسي، بعد أن حررهم الرسول بالقرآن الكريم.

في هذا الإطار يظهر الختان كعلامة الانتماء الأبدي، ليس لدين الله - كما صاغه القرآن - أو للأرض التي باركها، بل لدين الأحبار و الفقهاء و المحدثين، و الكهنة و السحرة، المحيطين دائما و أبدا ببلاط السلطان (فرعون) و القائمين على حماية مصالحه، باختلاق دين تطويعي استعبادي يقوم حصرا على نصوص الحديث و فرضها باسم الله و بعنف المقص و السيف على الرعية. يبدو ذلك جليا في فرض الملك أبي جعفر المنصور لكتاب **موطأ** مالك بن أنس في الحديث، مرجعا وحيدا يبعث للولاة في الأمصار و تفرض طاعته بقوة سلطة الدولة العباسية و يخضع الناس إليه كما بيناه في الاستمارة البحثية السادسة.

يبدو ذلك جليا أيضا في أسباب و ظروف و حيثيات تأليف و تأسيس أعظم جيش عرفته الدولة العلوية المغربية، المعروف بجيش "**عبيد البخاري**"، و الذي أسسه السلطان العلوي الملقب **بالمولى إسماعيل بن علي الشريف** (1645 - 1727). إذ ذكر المؤرخ المغربي الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري في "**كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**" في جزئه السابع (ص 56 و ما بعدها) - نقلا عن التفاصيل الواردة في كناش كاتب الدولة الإسماعيلية و وزيرها الفقيه أبو العباس أحمد اليحمدي - ظروف تأسيس جيش "**عبيد البخاري**" و مكوناته و أسباب تسميته. حيث ذكر المؤرخ أن المولى إسماعيل

ألفه شخصيا، بمعية كاتب مراكشي عرف ب "عليليش"، صاحب دفتر من ميراث السعديين كان يضم أسماء جنود الدولة السعدية من العبيد السود. حينها قرر السلطان العلوي إعادة تاسيس جيش مماثل و كلف "عليليش" بجمع بقايا ذلك الجيش و ابنائهم و إضافة عبيد و مماليك و حرطانيين آخرين له من كل القبائل. فتم حشد 3.000 عبد في سنة واحدة، و ارتفع هذا الرقم ليصل 150.000 عبد، سنة وفاة المولى إسماعيل. فكان جيش "**عبيد البخاري**" قلب القوة العسكرية الضاربة للسلطان العلوي و آلة توسع إمبراطوريته. و لا تزال بقايا جيش "**عبيد البخاري**" حية و فاعلة، إلى يومنا هذا، في واقع "**دار المخزن**" المغربية متمثلة في مؤسسة "**الحرس الملكي**".

أما عن سبب تسميته بجيش "**عبيد البخاري**" - و هو الشاهد عندنا في هذا المقام - فيلخصه المؤرخ الناصري بقوله : " **... و أما سبب تسمية هذا الجيش بعبيد البخاري : فإن المولى إسماعيل رحمه الله لما جمعهم - أي العبيد - و ظفر بمراده بعصبيتهم و استغنى بهم عن الانتصار بالقبائل بعضهم على بعض حمد الله و أثنى عليه، و جمع اعيانهم و أحضر نسخة من "صحيح البخاري" و قال لهم : "أنا و أنتم عبيد لسنة رسول الله و شرعه المجموع في هذا الكتاب، فكل ما أمر به نفعله و كل ما نهى عنه نتركه و عليه نقاتل" فعاهدوه على ذلك، و أمر بالاحتفاظ بتلك النسخة - من صحيح البخاري - و امرهم أن يحملوها حال ركوبهم و يقدموها أمام حروبهم كتابوت بني إسرائيل، و ما زال الأمر على ذلك إلى هذا العهد فلهذا قيل لهم عبيد البخاري ...**" (ص 59).

تأمل أيها القارئ الكريم كيف أن المولى إسماعيل جمع كلمة جيشه، ليس على كلام الله تعالى الموحى و المجموع بين دفتي المصحف، و لكنه جمعهم على كلام و أحاديث "**صحيح البخاري**". و ربطهم بأمر البخاري و ليس بأمر الله تعالى. و ألف جيشه من العبيد و الإماء، من الزنوج الأفارقة، مسلوبي الحرية أبا عن جد، و من بعد أنصاف الأحرار أيضا. و لم يعتبرهم "**عبادا**" لله تعالى أحرارا - كما حرر القرآن بلالا بن الرباح من قيود الاستعباد - بل اعتبرهم "**عبيدا**" للبخاري و لسلطانه بالتبع. و جعل نصوص البخاري في الحديث - تماما كما فعل أبو جعفر المنصور مع "موطإ" مالك بن انس - أساس حكمه و ملكه، و حربه و سلمه، محمولة في صندوق على ظهر فرس، تصاحب جيشه المقاتل العرمرم أنى حل و ارتحل. نسخة بخارية التأليف و الروح، مقدسة و مهيمنة على آيات الله في القرآن الكريم.

تامل أيضا كيف أن المؤرخ الناصري، وهو يعلق على ذلك، قارن بين صندوق نسخة "**صحيح البخاري**" الإسماعيلية، و بين "**تابوت العهد**" العبراني الذي جاء ذكره في قصة طالوت و جالوت، و الذي يضم ربما بقايا "**ألواح موسى**" و أشياء أخرى. و الذي كان العبرانيون يقدمونه أمامهم في حروبهم لتسكن به النفوس و تقوى به على القتال.

و في نظرنا، فمقارنة المؤرخ الناصري أصابت عين الحقيقة. حيث أن "**صحيح البخاري**" يمكن تشبيهه في أوجه عدة بتابوت العبرانيين. بل الأكثر من ذلك، فهو في نظرنا نسخة طبق الأصل تقريبا لفقه و نصوص أحبارهم. و في تقديرنا أيضا فإن "**الصحيح**" ابن "**التابوت**" و نسخته، كما أن "**الختان**" ابن "**الصحيح**" و علامته.

و يظهر الختان أيضا كبصمة القهر و الاستعباد و البيعة المفروضة بقوة الجيوش البخارية الغازية على مر التاريخ. تلك البصمة التي يحفرها السلطان (فرعون) على أجساد ملئه و جيوشه و عبيده و رعيته

منذ نعومة أظافرهم، لتذكيرهم دائما أنهم ملك له، وحده لا شريك له، يفعل بهم ما يشاء، و يحكم فيهم بما يريد.

يظهر الختان أيضا كعنوان للهوان و الجبن و الصغار الذي تكتبه و تحفره و تؤبده الاجيال السابقة على أجساد الأجيال اللاحقة حتى لا تشب عن الطوق كما يقال، و حتى لا تغادر الحظيرة و القطيع، مكررة بطريقة قردية بئيسة معاناتها دون مقاومة أو سؤال.

شأنها في ذلك شأن خمسة قرود وضعها بعض علماء السلوك الحيواني في قفص واحد، نصبوا وسطه سُلَّما و و ضعوا على أعلى السلم عنقود موز أصفر فاقع لونه يسرّ النّاظرين - من القرود طبعا. فكان كلما استطاع قرد تسلّق السّلّم لأخذ الموز، قام العلماء برشّ القرود الأربعة الأخرى، القابعة أسفل السّلّم بالماء المغليّ. و بعد تكرار تلك العملية لمرَّات عديدة، أصبحت القرود تهاجم تلقائيا كل قرد شجاع سوّلت له نفسه تسلّق السّلّم طمعا في الموز، و أشبعته ضربا مبرحا حتى ليكاد يغمى عليه، حماية لنفسها من حموم الماء المغلّى. لاحظ العلماء بعد مدّة، أن كل القرود الخمسة كفّت خائفة مجبرة عن مجرد محاولة تسلّق السّلم، حماية لجلدها من ألم محقق. و ليذهب الموز إلى الجحيم، و لسان حالها يردّد : "**ربّ نافعة ضارّة !**"

قام العلماء بإبدال قرد واحد من القرود الخمسة بقرد آخر ما يزال على فطرته - قرد غير مختون الإرادة - ووضعوا عنقود موز جديد على أعلى السّلّم. و ما إن حاول القرد الجديد تسلّق السّلّم، حتى انهالت عليه الضّربات الموجعة من كل حدب و صوب. لم يفهم القرد المسكين سبب معاناته - تماما كالطفل المختون - و حاول التسلق مرّة ثانية وثالثة و رابعة، لكنه كلما اقترب من السلم المحرم، إلا و انهالت عليه الأخماس و الأسداس القردية، بضربات الرحمة الموجعة، و لعن الموز و ما قرب إليه من قول أو عمل، و أدرك العقاب و لم يعرف البتّة سبب التّحريم.

بعدها قرّر العلماء القيام بإبدال قرد قديم آخر، من القرود الأربعة غير المستبدلة بعد، بقرد جديد على فطرته. لكن المسكين لم يسلم بدوره من بطش القوم و العشيرة، التي حرّمت عليه تسلّق السّلّم و التنعُّم بالموز اللذيذ كسابقه، و كأني به يقلب كفّيه ذات اليمين و ذات اليسار، و عين في الثرى و الأخرى في الثريا، متحسسا مواضع الألم و الاكتواء، و لسان حاله يردد بامتعاض و قرف : "**حسبته موزا فكان لكزا**"، و الغريب في المشهد، أن القرد البديل الأول، قلد قومه و شاركهم في الضرب و الطرح و القسمة، مع جهله تمام الجهل سبب تعنيف صاحبه، إذ لم يتلظ يوما ما و لم يكتو أبدا بحرارة الماء المغلّى، و مع ذلك، فإنه ساهم بجهد المقلّ المقلد مع جمهور القردة الناقمين !

استمرّ العلماء في استبدال القرود، قردا بعد آخر، حتى تمّ استبدال القرود الخمسة القديمة الأصلية كاملة، بقرود وافدة جديدة لم يرشّ عليها الماء السّاخن و لو مرّة واحدة في حياتها. و مع ذلك، كانت النتيجة استمرار القرود البديلة في تكرار تقليد إلحاق الأضرار الجسيمة، و ضرب كل قرد متهور تسوّل له نفسه الاقتراب من السّلّم المحرّم موزه.

نعم إن جمهورا عريضا من الفقهاء و المفسرين و المحدثين يأبون إلا أن يقلدوا سلوك قردة القفص بدون ملل أو كلل. فهم يوثرون التقليد على التجديد. و يقبعون سجناء في مربع الماضي السحيق، غارقين في سبات أطول من سبات أهل الكهف. و مستغرقين في اجترار أحلام العودة إلى الوراء، أحلام الرجوع إلى ما يعتبرونه للأسف، نموذج خلاصهم و خلاص أتباعهم، بتكريسهم لعادات قريش و بإحيائهم لتقاليد

قبيلة دَوْس اليمنية، عادات بدو صحراء جزيرة العرب قبل مئات السنين، دون وعي بالحاضر أو استشراف للمستقبل، داعين أتباعهم - باسم الله - إلى اتباع "السنة" بالختان، و السواك، و إعفاء اللحية و تخضيبها بالحناء، و تحفيف الشارب - لاحظ كيف أن الفقهاء يفرضون "مخالفة" اليهود في قص كيراتين الشوارب و كيف أيضا يفرضون "موافقة" اليهود في قص الغرلات، أي منطق هذا ؟؟؟ - و تقصير القميص و السروال، و الاستقالة من الدنيا و متاعها و الاستعداد للآخرة موتا في سبيل الله، انفجارا هنا او هناك، و انتقالا إلى دار البقاء حيث الجنان و الخمر و سبعون جميلة من الحور العين.

يكفي فقط اتباع السلف الصالح جدا و التسليم لهم تماما كسلوك الميت بين يدي غساله، و إن اقتضى الأمر شرب أبوال الإبل تارة، أو غمس أجنحة الذباب و البعوض و مملكة الحشرات كلها في المرق بغية الشفاء تارة أخرى، كما حثت على ذلك أحاديث البخاري و الجماعة.

فهم لا يسأمون التكرار إلى الأبد، تكرار الحلو على نذرته، و تكرار المر على كثرته، راسمين حولهم و حول أتباعهم خطوطا حمراء يحرم تجاوزها، و باصمين على أجساد أطفالهم بصمات الهوان و الاستعباد، حتى إذا سأل السائل : ماذا؟ و لماذا؟ و كم ؟ و من؟ و كيف؟ و متى؟ و أين؟ ... صيح في وجهه بتجهم ورع جدا : - لا تسأل، لا تسأل، لا تسأل - ثلاثا - فالسؤال حرام، و العقل ملعون و منكر. و مع سلوكهم هذا، فإنهم يطمعون دائما أن تتغير أحوالهم نحو الأحسن و الأفضل و الأرقى، لكنه طمع كطمع إبليس في الجنة.

حين يوضع الختان في هذا الإطار الفقهي النصوصي النظري، بارتباطه الوثيق بسنة بخارية نبوية مزعومة، ألفها و صاغها و قدسها و نشرها السلف الأموي/العباسي/العلوي الصالح، يسهل فهمه و تتجلى ارتباطاته و جدليته الدينية/السياسية أيضا.

إن القرآن الكريم يتوافق مع روحه و مقاصده الإنسانية حين لا يذكر الختان أبدا و لا يشرعه. لأن الختان، كما بينا، يرتبط في "العهد القديم العبراني" بعقيدتين نسفهما القرآن الكريم من أسسهما و هما للتذكير: "عقيدة شعب الله المختار" من جهة، و "عقيدة أرض الميعاد" من جهة اخرى. كما أن القرآن الكريم و هو يؤصل لحرية العقيدة و الفكر، في عدة آيات محكمات منه، و في جو معتم بالشرك و الاستصنام السياسي، ما كان ممكنا أن يناقض نفسه بتشريع تطبيق دموي إكراهي و إقطاعي، يحشر الأطفال رغم أنفهم - أو بالأصح رغم غرلاتهم - في قطيع مختون و يفرض عليهم، ضدا على إرادتهم، اتباع دين كهنوتي استعبادي لم يختاروه.

إن القرآن الكريم حين تنزله أعاد صياغة مفهوم جديد للإنسان المتحرر - نظريا على الأقل - باقتراحه و توجيه المؤمنين بآياته و بقيمه، إلى قراءة جديدة متجددة لنفسه و لمحيطه و للكون أجمع : إنسانا محررا من قيود القبيلة و من تقاليد الآباء و الأسلاف، و من أغلال الفراعنة و السحرة. إنسانا عدلا محررا من العنف و الإكراه، يسعى للخير و السلام مع نفسه و مع غيره و يدعو لذلك. و ما كان بإمكان القرآن الكريم أن يأسس لتلك القيم الثورية الجديدة، و يفرض في نفس الوقت "جريمة" الختان التي تلخص في بشاعتها ما يناقض قيم القرآن نصا و روحا و مقصدا.

إذ لما يسعى القرآن لتحرير الإنسان من قيود القبيلة، فإن الختان يقيده من جديد، بقيود من دماء، و يبصم على جسده الطفولي ختم سجن أبدي لا مفر له منه. و لما يسعى القرآن إلى تحرير الإنسان من تقاليد الآباء و الاجداد، فإن الختان يرهنه من جديد، ليس فقط لتقاليد أبيه و جده، بل لتقاليد ملإ فراعنة مصر قبل

آلاف السنين. و لما يسعى القرآن إلى تحرير الإنسان من أغلال الفراعنة و الكهنة، فإن الختان يفرض عليه من جديد، أغلال السلطان و سحرته من فقهاء السنة و الجماعة بالنسبة للبعض، أو أغلال المرشد الأعلى للثورة و حاشيته، من الأئمة الحاضرين أو الغائبين، بالنسبة للبعض الآخر. و لما يعتبر القرآن الكريم الناس أحرارا و عبادا لله وحده باختيارهم و دون أدنى إكراه، فإن الختان يحشرهم رغم أنوفهم و غرلاتهم في زمرة جيوش "**عبيد البخاري**" - المسلحة منها أو المنزوعة السلاح و الإرادة - و عبيد الحاكم بأمره و وارث سره و سر تابوته المقدس.

إن الإيمان بالله تعالى لا تجمعه أية صلة وصل بالختان. إذ الإيمان بالله بناء واع و إرادي و تراكمي و لامادي. و هو أيضا اختيار طوعي محرر من كل أشكال الإكراه البدني و المعنوي. إن الإيمان بالله وقيمه، لا ينتقل أبدا للأجيال الصاعدة عن طريق القطع و الحز و البتر و التشويه. الإيمان بالله تعالى ليس ترويضا حيوانيا عنفيا، كترويض البغال بالإخصاء أو كترويض الحمير بالضرب. و هو لا يترسخ في قلوب الصبية بحرمانهم من جزء حيوي من غرلاتهم، أو بضربهم على الصلاة لعشر سنين أو بسجن أجسادهن في قطع قماش داكنة لا تري إلا العينين و من وراء سياج. فالله غني عن الغرلات و السجدات الإكراهية و الأقمشة الأفغانية ... و هو ليس بحاجة لها. فهو من خلق الغرلات و صورها في أحسن صورة تماما كما صور بقية الجسد. و خصها بوظائف حيوية أساسية للتوازن النفسي و الجنسي و الجسدي: كل شيء عنده بمقدار ... سبحانه.

إن الذين يحتاجون فعلا لغرلات الاطفال، علامة على استعبادهم لأجيال قادمة، هم من نصبوا أنفسهم شركاء لله مدعين الحكم و النطق باسمه الأعظم. و مستعينين بشركاء و انداد آخرين من طبقة الأسلاف. فترك الختان، و ما قرب إليه من قول أو عمل، يكتسي من هذا المنطلق صبغة تحريرية جديدة ألخصها في كلمات : التمرد الواعي على سلطة الإقطاع، و رفض الطاعة لسلطة الكهنوت الفقهي، و الثورة السلمية في وجه الاستبداد. لأن الختان في تصورنا، هو الابن اللقيط الوحيد الذي تم إنجابه من نكاح الاستبداد بالطاعة. و هي الفكرة نفسها التي لخصتها من قبل، في تلك الفرضية التعيسة لذاك القانون الأتعس : "**حيثما وجد الختان و انتشر، فثم وجه فرعون و سحرته**" !

و انطلاقا من هاته الفرضية السياسية، فإن ترك الختان و العمل به - بالإضافة إلى كونه مسؤولية الأمهات و الآباء في الحماية الواجبة عليهم في حق أطفالهم من الإكراه و العنف و الدموية، منذ لحظات حياتهم الاولى - يصبح فكرة و سلوكا و عملا ثوريا سلميا بامتياز على حكم الاستبداد السياسي القابع فوق آلام الجميع من جهة، و على إيديولوجيات الطاعة الدينية المغذية له باستمرار، من جهة ثانية. فترك الختان تحرير للإنسان من قبضة فرعون و من أغلال السحرة أيضا.

بل إني اعتقد أن نجاح الثورات العربية و الإسلامية، على المستوى البعيد، رهين بنجاح الإنسان العربي المسلم الثائر - المختون البارحة رغما عنه - على كسر أغلال الاستبداد السياسي و فسخ عقود الطاعة الدينية البئيسة. لن يتم ذلك في نظري، إلا بتحرير ما تبقى من جسده و ضميره، و تحرير أجساد و ضمائر ذريته من قبضتي الإقطاع الوحشي و الإيكليروس الملتحي من أصحاب العمائم و الكوفيات، أو من أصحاب البنطلون و ربطات العنق، سواء بسواء.

لن يتم ذلك إلا بإخراج إنسان جديد، كامل و غير مختون الجسد و الضمير. ربما سيفلح هذا الكائن الجديد، الذي لم يستقبل بالمقص و الدموع و الآلام و الدماء كاجداده، تحقيق إنسانيته و رشده و حريته و

كرامته في جيل واحد فقط، حينما عجز آباؤه السابقون المختونون طبعا، تحقيق تلك الإنسانية الراشدة الحرة و الكريمة في أجيالها المتعاقبة.

إن الثورة الناعمة الراشدة في حاجة ماسة إلى الإنسان الناعم الراشد. و إن الإنسان الناعم الراشد لن يتخرج من مستنقع "الختان" أبدا، إلا في بعض الاستثناءات التي انتشلها الوعي و الفكر من الضياع القيمي. فأي نعومة و أي رشد في "الختان" ؟

إن الإنسان الناعم الراشد، إما أن يكون حرا طليقا من كل قيود الإكراه، منذ لحظات حياته الاولى، أو لن يكون.

و إن الثورة الناعمة الراشدة، إما أن تكون ثورة على الإقطاع السياسي، غير مختونة بيد "سدنة هياكل الوهم"، أو لن تكون.

و إن دواء العجز الجنسي، الذي ينخر "فحولة" ضحايا الختان من طنجة إلى جاكرتا، لا يمكن القضاء عليه بإدمان أقراص الفياجرا المستعبدة - تماما كنصوص البخاري - أو بوصفات ما يسمى بالطب التقليدي البديل. بل إن هذا "العجز الجنسي" سيزول بزوال أسبابه، المتمثلة أولا في العجز الفكري الذي أصاب العقول بالشلل الكلي، وثانيا في العجز السياسي الذي نجح إلى حد كبير في تكبيل إرادات التغيير و سجنها إلى أجل مسمى.

أملي أن تكون أفكار هذا الكتاب و أسئلته قد ساعدت القارئ الكريم على تلمس طريق اتخاذ قرار ختان ابنه من عدمه. و أن تكون قد استوفت أغراضها في إبلاغه فقط - دون السعي لإقناعه - ببعض الحقائق المسكوت عنها لحاجة في نفس فرعون و جنوده. و أن تحفظ أجساد الاطفال من البتر و القطع و المعاناة و الألم و مضاعفات ذلك، الآن وغدا. و أن تصحح بعض المفاهيم الدينية، و تعمق الإيمان ببعض الأفكار الاساسية الهادية إلى طريق الرشد و العلم و السلم.

أملي أن تنجح هاته الأفكار في تذكير فرعون، فردا أو جماعة، أنى علا و استكبر، أو استعبد الناس و طغى، أو ضرب الظهور و قطع الأرزاق، أو ختن الأطفال و حجب النساء، أنه لن يعدو أن يبقى فرعونا و كفى.

أملي أن تذكره أخيرا، أن كلمة "**اقرأ**" القرآنية حين تفعل فعلها في النفوس بعمق، تحررها من قهر الطغيان، و من طاعة الطغيان إلى الأبد.

نعم، في البدء كانت : "اقرأ باسم ربك الذي خلق"

نعم، في البدء كانت : "إن الإنسان ليطغى"

نعم، في البدء كانت : "كلا لا تطعه و اسجد و اقترب".



المراجع و الإحالات :

كتب عربية :

- **القرآن الكريم**
- **كتاب العهد القديم**
- **تفسير القرآن الكريم** - الحافظ بن كثير
- **السيرة النبوية** - محمد بن اسحاق
- **تهذيب السيرة النبوية** - ابن هشام
- **الروض الانف في شرح السيرة النبوية** - عبد الرحمن أبو القاسم السهيلي
- **زاد المعاذ في هدي خير العباد** - ابن قيم الجوزية
- **صحيح البخاري** (أو مدونة البخاري) و شروحه - محمد بن إسماعيل البخاري
- **صحيح مسلم** (أو مدونة مسلم) و شروحه - أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري
- **الموطأ** - مالك بن أنس
- **سير أعلام النبلاء** - أبو عبد الله شمس الدين الذهبي
- **مروج الذهب و معادن الجوهر** - المسعودي
- **مؤامرة الصمت، ختان الذكور والاناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين: الجدل الديني والطبي والاجتماعي والقانوني** - د. سامي عوض الذيب أبو الساحلية
- **القرآن الكريم و كفى مصدرا للتشريع** - د. أحمد صبحي منصور
- **التوراة جاءت من جزيرة العرب** - د. كمال سليمان الصليبي
- **كعب الأحبار** - د. إسرائيل ولفنسون أبو ذؤيب
- **سدنة هياكل الوهم** - د. عبد الرزاق عيد
- **أضواء على السنة المحمدية** - د. محمود أبو رية
- **أبو هريرة شيخ المضيرة** - د. محمود ابو رية
- **تجريد البخاري و مسلم من الأحاديث التي لا تلزم** - د. جمال البنا
- **أكثر أبو هريرة** - د. مصطفى بوهندي
- **مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي و تدوينه** - د. خالد كبير علال
- **جناية البخاري : إنقاذ الدين من إمام المحدثين** - زكرياء أوزون
- **السلطة في الإسلام** - د. ياسين عبد الجواد
- **الفتنة : جدلية الدين و السياسة في الإسلام المبكر** - هشام جعيط
- **الإسلام في الأسر : من سرق الجامع و اين ذهب يوم الجمعة ؟** - الصادق النيهوم
- **إسلام ضد الإسلام** - الصادق النيهوم
- **فصل الخواتم فيما قيل في الولائم** - محمد بن طولون
- **كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصا** - الجزء السابع - أبو العباس الناصري
- ... إلخ.

مقالات عربية على الأنترنيت :

- **اليهودية و الختان** - د. سمير وردة
- **الختان** - د. عبد المجيد الزنداني
- **دراسة نقدية لبدعة الختان** - المعهد الإسلامي للدراسات الاستراتيجية المعاصرة
- **الكلام المحظور عن ختان الذكور** - هشام محمد
- **دراسة علمية لفهم حالات عدم القدرة على التعبير عن المشاعر** - د. حسن محمد صندقجي
- **العرب بين العجز الفكري و العجز الجنسي** - صالح الطائي
- **30 ألف عربي في إسرائيل لعلاج الضعف الجنسي** - توحيد مجدي
- **المنشطات الجنسية الدوائية : الفياجرا و اخواتها** - د. يوسف بن عبده عسيري
- **المنشطات الجنسية، البحث عن فحولة ضائعة في السوق السوداء** - سميرة فرزاز
- **الحبة الزرقاء هاجس نصف شباب المغرب بحثا عن الفحولة** - حسن الأشرف
- **كم ينفق المغاربة على اعطابهم الجنسية ؟** - أخبار اليوم
- **العجز الجنسي يستفحل بين الرجال** - نادية السليماني
- **مليون جزائري يستهلكون الفياجرا** - أسماء لمنور
- **الفياجرا السياسية** - رصيف 22
- **العجز الجنسي مصدر قلق في العراق** - عادل فاخر
- **هل الفياجرا مؤامرة يهودية ؟** - خالد المنتصر
- **كلفة الملكية في المغرب** - علي أنوزلا
- **ميزانية المواطن 2014** - المملكة المغربية وزارة الاقتصاد و المالية
- ... إلخ.

كتب و مقالات و ابحاث بلغات أجنبية :

- **Circoncision, le complot du silence** - Dr Sami Aldeeb Abou Sahlieh (فرنسي)
- **Circoncision masculine, féminine : Débat religieuxn madical, social et juridique** - Dr Sami Aldeeb Abou Sahlieh (فرنسي)
- **Histoire de la circoncision des origines à nos jours** - Dr Malek Chebel (فرنسي)
- **Comme une piqûre de guêpe** - Massa M. Diabaté (فرنسي)
- **Portrait de Jacques Derrida en Jeune Saint Juif** - Hélène Cixous (فرنسي)
- **C'est pour ton bien : Racine de la violence dans l'éducation de l'enfant** - Alice Miller (فرنسي)
- **Le juste prix de la terre promise : Réflexions autour de la circoncision** - Mohamed Louizi (فرنسي)
- ***Die Beschneidung von Jungen*** - Dr Matthias Franz (ألماني)
- **Causes des troubles du développement, du comportement et des apprentissages chez l'enfant et l'adolescent** (Thèse doctorat de médecine) - Anne-Claire Marec-Praud (فرنسي)

- **Mascarades, marquages et mutilations religieuses** - Johannès Robyn (فرنسي)
- **Des corps marqués par la circoncision ou péritomie, l'excision ou le voile** - Claude Champon (فرنسي)
- **La circoncision musulmane entre mythe et fantasme** - Dr Abdelhadi Elfakir (فرنسي)
- **Phimosis, paraphimosis, circoncision** - Dr Provensal (فرنسي)
- **Deux formes de maltraitance à l'enfance : retrait du prépuce et circoncision** - Site www.cirp.org (فرنسي)
- **Prise en charge de la dysfonction érectile par le médecin généraliste** - Dr Mohammed Jamal El Fassi et Dr Jalal Eddine El Ammari
- **La circoncision à l'origine de troubles de la personnalité : Incapacité de ressentir des émotions et impulsivité** - Néo Trouvetout (فرنسي)
- **Alexithymia and circumcision Trauma : A preliminary Investigation** - Dan Bollinger and Robert S. Van Howe (إنجليزي)
- **Functions of the Foreskin** - Circumcision Resource Center (إنجليزي)
- Articles du site **www.droitaucorps.com** - (فرنسي)
- Articles du site **www.circumcision.org** - (إنجليزي)
- Articles du site **circumcisiondecisionmaker.com** - (إنجليزي)
- Site Internet de la société **Pfizer** (فرنسي)
- **Does circumcision cause erectile dysfunction ?** - Site www.thewholenetwork.org (إنجليزي)
- **Muslim Statistics : Alcohol and Drugs** - WikiIslam (إنجليزي)
- **Atlas du Diabète de la Fédéartion Internationale du diabète** - 6ème édition 2013 (فرنسي)
- **Consommation mondiale de Viagra** - Site www.planetoscope.com (فرنسي)
- **Un jordanien sur deux a des dysfonctionnements sexuels** - Jordan Times (فرنسي)
- **Les aphrodisiaques au top 3 des ventes pharmaceutiques au Maroc** - Larbi Amine (فرنسي)
- **Industrie pharmaceutique : Au cœur de l'usine « Viagra »** - Zineb Sarori (فرنسي)
- **Sondage sur la sexualité des marocians** - Amale Samie
- **Santé : Du dysfonctionnement érectile** - Dr Anwar Cherkaoui (فرنسي)
- **Lutte contre le SIDA en Afrique du Nord** - Sofiane Bouhdiba (فرنسي)
- **Le Roi prédateur** - Catherine Graciet et Eric Laurent (فرنسي)
- … etc.



الملاحق :

اليوم العالمي للسيادة على الأعضاء التناسلية

التظاهرة الأوربية أمام محكمة الاستئناف بكولونيا - ألمانيا - 7 ماي 2014

ترجمة "**نص الخطاب**" الذي ألقيته أمام المشاركين
(مع إضافات طفيفة أملتها ضرورات الترجمة)

سيداتي، سادتي، أيتها الأمهات، أيها الآباء، معشر الأصدقاء،

لقد أتيت من مدينة ليل، الواقعة شمال فرنسا، لأحيى معكم و بجانبكم هاته اللحظات القوية و المشحونة بمعان عميقة. هنا، في هاته المدينة و داخل مبنى هاته المحكمة، في يوم 7 ماي 2012، كتبت الأسطر الأولى من صفحة عهد حقوقي جديد يهم الأطفال. و بدأت كتابة فصل وعد ديموقراطي مشرق. و إن ما تم اتخاذه من حكم قضائي مشرف، ليعد مكسبا إنسانيا عظيما سيفتح الطريق مستقبلا أمام تحقيق مكاسب حقوقية أخرى. و إنه لا يسعني في هذا المقام، إلا أن أحيي السادة القضاة الأفاضل على شجاعتهم، و هم الذين استوعبوا خطورة عمليات "الختان" الديني على أجساد الأطفال، و هم الذين أدانوه في حكمهم القضائي رغم حجم الضغوطات التي تمارسها بعض الطوائف و بعض الجهات النافذة هنا. سادتي القضاة، اسمحوا لي أن أتفضل بالقول لديكم، أنكم قد دخلتم التاريخ الإنساني من بابه الواسع. فالتاريخ لن ينسى أسماءكم. و التاريخ لن ينسى جرأتكم. و التاريخ لن ينسى جشاعتكم.



إن تواجدنا هنا، في هذا اليوم بالذات، في هاته اللحظات التي لا تنسى، سيسهم لا محالة في كتابة خاتمة تاريخ قديم و حزين أيضا. إنه تاريخ "الختان"، ذلك الطقس الذي يبرر البعض وجوده و استمراره، بنصوص الأديان، فيما يبرره آخرون بالتقاليد و الثقافات، ذلك الطقس الذي يصطنع له ممارسوه و حماته باستمرار، تبريرات خادعة و حمقاء، حتى يضمنوا بقاءه الأبدي و ترسخه في كل المجتمعات التي تخضع بالإكراه أطفالها له، بما في ذلك بعض مجتمعاتنا الأوربية الديموقراطية و

الحداثية، التي تقوم أساسا على احترام الإنسان و ضمان حقوقه الأساسية كاملة دون تجاوز أو تصرف أو تطويع.

إني أضم صوتي إلى صوتكم بصفتي إنسانا حرا، و إنسانا مؤمنا بالله، و إنسانا يحمل في جسده بصمة "الختان" منذ سن الأربع سنوات، و أبا لثلاثة أطفال، من بينهم ابني الحبيب، البالغ من العمر حوالي ثماني سنوات. إني أضم صوتي إلى صوتكم لأعبر بوضوح تام عن موقف و عن قرار اتخذته، بكل وعي و بكل التزام و حرية و إخلاص، و دون طمع في أي مقابل، لا أسألكم جزاء و لا شكورا. إنه قرار الانخراط الواعي بينكم، دفاعا عن حق كل طفل في التمتع بجسم سليم و معافى و كامل كما خلق، دون بتر أو تشويه. إنه قرار الدفاع الواعي لضمان **سيادة مطلقة** لكل إنسان على جسده، و خصوصا، **سيادته** على أعضائه التناسلية وحق تقرير مصيرها لوحده حين يكون قادرا على ذلك و واعيا بنتائج قراراته. إنه **حق سيادة مطلقة** ينبغي أن يضمن لكل إنسان، صغيرا كان أو كبيرا، ذكرا كان أو انثى، بصرف النظر عن أي تمييز بئيس، قد يتأسس على الجنسية، أو على لون البشرة، أو على الدين، أو على الثقافة، أو على الوضعية الاجتماعية.

إني أضم صوتي إلى صوتكم لأسجل بكل وضوح، و بوعي تام بخطورة القضية، موقفي من عمليات تشويه الأعضاء التناسلية عموما، و من "ختان الذكور" على وجه التخصيص. إذ "الختان" يشوه الجسد للأبد و من دون رجعة. و يترك آثارا نفسية غائرة و دائمة على نفسية المختون و على سلوكه. إنه يسبب آلاما ظالمة و غير مبررة، و يحدث معاناة صامتة و مكتومة و دائمة. إنه يستغل وضعية ضعف طفل صغير أعزل، لا حول له و لا قوة، ليتيح الفرصة لمجموعات دينية قوية ومغلقة و لطوائف منطوية على ذواتها، لتفرض على الطفل الصغير البريء انتماءه القسري لها، و لتطبع على جسده خاتم ذلك الانتماء المفروض بسلاح مقص الحجام و مشرط الطبيب. إن "الختان" ينمط الأجساد في المهد، و يوحد أشكالها بالقطع و البتر، تمهيدا لتنميط فكري و ديني عميق في الكبر، و ليسجن الناس حتى وفاتهم في خانات طوائف مغلقة. إن "الختان" يفرض منذ الولادة قاعدة واحدة، و "اختيارا" واحدا، و عقيدة واحدة لا شريك لها : إنه يفرض على الطفل الصغير البريء "العبودية القهرية" و الولاء لجماعة عضوية قوية و مهيمنة، فرضها عليه القدر و لا يعرفها بعد، و لم يتسنى له بعد أن يقرر انتماءه لها من عدمه. إن "الختان" يفرض بدءا الطاعة العمياء لأوامر الدين - كما وضعها و صاغها الفقهاء - و لعادات الثقافة القائمة المتوارثة باجترار و تكرارها جيلا لاحقا عن جيل سابق.

إن "الختان" يزرع الخوف و الهوان و القهر في نفوس الصغار و يكسر الإرادة الحرة في مهدها. إذ لا يخيف الاستبداد السياسي و الديني إلا الإرادات الحرة. فالجيل "المختون" جيل قد طوعه دين فقهاء "الختان" صغيرا، لطاعة أمراء سياسة الاستبداد عند كبره. إن "الختان" ضمانة الصمت و وعد استمرار الاستبداد السياسي باسم الدين. و للقارئ العربي المسلم "المختون" طبعا، أن يتأمل نص تلك "اللافتة" المدوية، التي صاغها شاعر الحرية **أحمد مطر** و عنونها ب **"الختان"** قائلا :

ألبَسوني بُرْدَةً شَفّافَةً
يَومَ الخِتانْ.
ثُمّ كانْ
بَدْءُ تاريخِ الهَوانْ!
شَفَّتِ البُردةُ عَنْ سِرّي ،

وفي بِضْـعِ ثَوانْ
ذَبَحـوا سِـرّي.
وسـالَ الدّمُ في حِجْـري
فَقـامَ الصَّـوتُ مِـن كُلِّ مَكانْ:
أَلفَ مَبروكٍ
... وعُقبى لِلّسـانْ !

إني أحضر معكم اليوم، لأقدم بين أيديكم بوعي و تواضع، شهادة شخصية جدا بخصوص هذا التقليد المقدّس، الذي أعرفه و يعرفني بشكل وثيق منذ حوالي اثنان و ثلاثين سنة، منذ سنة 1982 تقريبا.

نعم، إن "كذبة الختان" مطبوعة و منقوشة على جسدي. و إن آثارها المباشرة لا تزال غائرة في نفسي و حية في سلوكي أيضا. منذ أن كان عمري لا يتجاوز الأربع سنوات إلى يومنا هذا.



إني أسميها "كذبة الختان" لأنها بالفعل كذلك. و لأن ختاني بالخصوص، قد تم إجراؤه تحت غطاء معتم نسج بخيوط "كذبات" ساخرة و وقحة. و لعل أكبرها وقاحة، و أكثرها سخرية من عقلي الصغير آنذاك، كانت "كذبة" ذلك "الحجام" الغريب، الذي لم يسبق لي أن رأيته من قبل، و الذي استغفلني و استحمرني و استغباني، ليقطع على حين غرة مني، جزءا من جسدي، و من عضوي التناسلي و يشوهه بمقصه إلى الأبد. إني أتذكر طلب ذلك "الحجام" مني - بعد أن أحكم الحاضرون من أهلي وثاقي - النظر إلى سقف و "سماء" تلك الحجرة البئيسة، زاعما أن هناك "عصفورا" مغردا يطير بجناحيه فوق رؤوسنا. إني أذكر كيف استغل ذلك "الحجام" الكذاب الأشر سذاجتي البدائية، و براءة الصبي الصغير النحيف الضعيف المكبل أمامه، ليقطع - باسم السماء و باسم الله زعموا - جناحي "عصفوري" الآمن إلى الأبد. نعم أيها السادة : **في البدء، كانت "الكذبة" ... و "الكذبة" كانت "ختاني".**

في سنة 2006، ولد ابني المحبوب. و لقد كانت ولادته بمثابة ذلك الحدث الجلل، الذي وضعني وجها لوجه أمام مسؤوليتي كأب و أمام ضميري كذلك. لم أكن أستطيع الفرار من صحوة الضمير و من صوته أيضا. لأننا نستطيع الهروب من كل شيء، إلا الهروب من ضمائرنا. و لأننا نستطيع التحايل على كل شيء، إلا التحايل على ضمائرنا ... حينها بدأت التساؤلات الصاعقة و العميقة تتناسل بداخلي. و من

رحم السؤال تولد أسئلة أخرى : ما عساي أفعل إذن ؟ هل ينبغي أن أعيد تكرار و إنتاج ما عانيت منه في صغري ؟ هل ينبغي أن أسلب من ابني "سيادته" على جسده و على عضوه التناسلي، تماما كما سلب "حجام قومي" سيادتي على جسدي و على عضوي التناسلي ؟ هل أنا ملزم فعلا بسوق ابني إلى "الحجام"، أو إلى "الطبيب"، ليطبع على ذكره خاتم "الختان" فيصبح "مختونا"، ناقص الخلقة و مشوه الفطرة، ضمن زمرة "المختونين" ؟ هل أنا ملزم فعلا بطبع خاتم "الختان" على جسد ابني علامة انتمائه - غير الاختياري - لأمة "الحق" ؟ لكن يا إلهي، باسم أي "حقيقة" يلزمني أن أنقش على جسد ابني - و بصفة أبدية - "كذبة الختان" الرهيبة ؟ باسم أي "حقيقة" يا ربّ ؟

سيقول لي و لكم أقوام يعلنون انتماءهم لدين الإسلام، أن "الختان" عمل و قربة و طاعة يمليها الإيمان بالله تعالى و تمليها أصول العقيدة الإسلامية. و إنني أؤكد من هذا المنبر، أن تلك الأقوام الداعمة للختان و الداعية إلى تأبيده و تكراره، لا تكاد تخرج في موقفها عن أحد الاحتمالين : إما أنهم كاذبون في دعواهم، و إما أنهم لا يعلمون من الامر شيئا.

إنهم غير قادرين على أن يستدلوا على وجوب "الختان" و شرعيته من داخل نص القرآن الكريم المؤسِّس. لأن القرآن الكريم لم يذكر "الختان" أبدا، لا تصريحا و لا تلميحا. و للأسف، إن تلك الأقوام المنتسبة للإسلام، لم تنتبه بعد إلى حقيقة مرّة و صاعقة : كون القرآن الكريم نفسه قد خضع لعملية "ختان" قسرية، سنوات فقط بعيد انقضاء وحيه و اكتمال تنزله و حفظه. إن رسالة القرآن الكريم الإنسانية السامية قد تم "ختانها" في صغرها و حداثة سنها، و تم إذ داك إلجامها و إضعاف مفعولها في إحداث التغييرات في النفوس و المجتمع. و لقد تكفلت آلاف الأحاديث و المرويات، التي نسبت للنبي الكريم بعد قرنين من الزمان عن وفاته، و التي شكلت فيما بعد المصدر التشريعي الثاني كما يزعمون، لقد تكفلت تلك الأحاديث و المرويات بمهمة "ختان" القرآن الكريم و تشويهه نصا و روحا، قلبا و قالبا. لقد استطاعت مؤسسة "الأحاديث النبوية" ختان نص القرآن الكريم - و كذا بعض الحكم النبوية التي يسهل التعرف عليها انطلاقا من مضامينها الفاضلة و الراقية - و إغراقه وسط ملايين الأقوال الفجة و غير اللائقة و غير الانسانية، المبثوثة كالسم الزعاف في العسل المصفى، و المصنفة هنا و هناك.

إن الدعوة القرآنية السلامية البسيطة، الهادية لسبيل "السلام/الإسلام" مع النفس، كشرط تمهيدي أساسي "للسلام/الإسلام" مع الغير، إن هاته الدعوة القرآنية قد تم "ختانها" و تحييدها بالأحاديث و السنّة النبوية المزعومة. و إن إرث النبوة نفسه قد تم "ختانه" و حجب نوره بحماقات و ضلالات جماعات الرّواة و المحدّثين و القصّاصين المقدسين. و إن الآمال الإنسانية، المتجاوزة حدود القبيلة، و الوعود التي أخرجها القرآن الكريم من حيز الأحلام إلى أرض الواقع - تلك الآمال التي شكلت سابقة نوعية واعدة في تاريخ الناس - قد تم "ختانها" و تشويهها و إضعاف أثرها بإعادة فرض أغلال قبلية طائفية جديدة - متدثرة بعباءة الدين - للحفاظ على مصالح مادية و مكاسب سلطوية لمخلوقات هجينة، نصفها سمت و عباءة "رجل اللاهوت" و نصفها الثاني خبث و مكر "رجل السياسة"، ظاهرها جسد خروف وديع و باطنها ذئب لا يؤمن عنفه و افتراسه.

إن الإسلام الأصلي كما أتصوره و أفهمه و أحيى معانيه، لم يشرع "الختان" و لم يوجبه أبدا. بل على العكس من ذلك، إن روح هذا الإسلام الأصلي و معنى "الختان" لا يمكن الجمع بينهما، فهما يسيران في اتجاهين متناقضين تماما. بل إن "الختان" ينبغي النظر إليه و اعتباره أحد الركنين الأساسيين لكل تلك "الإسلامات" الهجينة الأخرى، الفاسدة في المعنى و المبنى. تلك "الإسلامات" التي ما فتئت

تطفو على صفحة التاريخ الدامي خلال الخمس عشرة قرون الأخيرة. تلك "الإسلامات" المهيمنة العنفية التي قهرت الأجساد بالحز و القطع و الختان، و غزت الأمصار بالسيوف و الحراب و الإعدامات. تلك "الإسلامات" السلطوية، الشمولية، الاستبدادية، السياسوية، الفارغة من كل معنى إنساني جميل، و المتشربة - حتى النخاع - بمعاني و سلوكيات العدوانية على الغير، أفرادا كانوا و جماعات، لا تميز في ذلك بين طفل وليد أو شيخ طاعن في السن. تلك "الإسلامات" التي لا يمكن لها أن تستتب و تحيى إلا في كنف الطاعة و العبودية المفروضين قهرا، من المهد إلى اللحد. تلك "الإسلامات" التي لم يكن لها أن تتوغل في التاريخ و الجغرافيا إلا في جو قهر ديني و سياسي مشحون بالخوف و التخويف و التهديدات المستمرة.



إن تلك "الإسلامات" الفاسدة و المغشوشة، لا يمكن أن تقوم لها قائمة في أرض الناس، إلا عندما تستطيع على غفلة منهم أن تقيم بنيانها، متوسلة بكل أشكال العنف و الإكراه، على ركنين أساسين فقط - و ليس على خمسة أركان كما يزعم فقهاؤها - أولهما : ركن **"كذبة الختان"**. و ثانيهما و آخرهما : ركن **"كذبة حد الردة"** المشؤوم. إن تلك "الإسلامات" تجعل شرط الدخول إليها تأدية "فاتورة" الانتماء القسري، بقطع جزء من الجسد، متمثلا في قطع جزء من العضو التناسلي. و تفرض على من أراد الخروج منها، تأدية "فاتورة" أخرى أغلى، لا تقبل بأقل من قطع الرأس من مكانه و إيداع الجسد قبور المغضوب عليهم. إن تلك "الإسلامات" تقتات باستمرار من دماء و أجساد أتباعها، تارة من دماء و غلفات و قلفات أجساد البراءة، و تارة أخرى من دماء و رؤوس أناس أحرار اتهمتهم مؤسساتها الدموية بالردّة و الخروج من حضيرة القطعان الطائعة، و قضت عليهم محاكمها بالإعدام.

و كأن التجربة الروحانية المؤمنة بالله تعالى، غير ممكنة إلا بحدوثها بين بقعتين من الدماء الزكية. و كأن التجربة الروحانية المؤمنة بالله تعالى، غير ممكنة إلا بوقوعها بين عنفين دمويين. و كأن التجربة الروحانية المؤمنة بالله تعالى، غير ممكنة إلا في الحيز الكئيب المتاح بين جريمتين بشعتين. و كأن كتابة اسم الله الأعظم في القلوب، غير ممكن الحدوث، بدون دواة مداد و دماء "كذبة الختان" بدء. و كأن مسح اسم الله الأعظم، اختيارا، من القلوب غير ممكن بدون مسح الذات المختارة من الوجود الحي، بقطع الرؤوس انتهاء.

نعم، أيها السادة، إني رفضت ... و أرفض ... و سأرفض دوما "ختان" ابني، و لست أعبأ بالضغوط أو التهديدات، فإنها لا تعنيني في شيء. نعم، إني أرفض "الختان" لأن كرامة ابني فوق كل اعتبار. و لأن سيادته المصونة على جسده فوق كل اعتبار. و لأن حفظ سلامة جسده من أي نقص أو بتر أو تشويه فوق كل اعتبار أيضا. إن ابني الحبيب له كامل الحق و كل الحرية في اتخاذ القرار، الذي قد يراه ملائما، في يوم من الأيام، بخصوص ختانه أو بخصوص اختيار انتمائه الديني - من عدمه - بناء على ما سيمليه عليه ضميره الحي و الحر حينها. و ليس من حقي بصفتي أبا له، أن أعتدي على جسده أو أن أترك آخرين يعتدوا عليه - باسم الله زعموا - بالبتر و القطع و الإكراه. فالله الرحيم تعالى لم يطلب مني و لم يفرض علي "ختان" ابني، لم يوجب ذلك في أي نص من نصوص و آيات وحيه القرآني الخالد. و حتى إن زعم البعض أن الله قد أوجب ذلك - و الدليل على من ادعى - فإني أرفض "ختانه" متحملا في ذلك عواقب قرار فردي ساهم في صياغته حريتي و إيماني بالله. إذ الإنسان، في اعتقادي، أقدس من النص الديني أيا كان مصدره. بل إن هاته الفكرة ليست غريبة على القرآن الكريم، إنها خارجة أساسا من صلبه و متوافقة مع نصوصه و مع روحه السلامية.

سيداتي، سادتي، أيتها الأمهات، أيها الآباء، معشر الأصدقاء،

إن مما يرثى له اليوم، و مما يحز في النفس أيضا، ذلك الصمت المطبق الذي يصم الآذان. صمت جمهور المثقفين المسلمين إزاء هذا الموضوع، و كأنه لا يعنيهم في شيء. و إني لآمل أن ينطق هؤلاء المثقفون، نساء و رجالا، معبرين بكل حرية و بكل مسؤولية عن مواقفهم الواضحة إزاء "الختان"، و إزاء شرعيته المزعومة و مدى توافقه مع الإسلام الأصلي، نصا و روحا، فهلا حرروا أصواتهم من عقالها ؟ هلا تأملوا و أبصروا في أعضائهم التناسلية بكل جرأة و صدق، و بحثوا عن معنى الإيمان بالله و عن معنى الحق في ختانها و قطعها بما يغير خلق الله ؟

إنه ينبغي على هؤلاء المثقفين، الملتزمين بصمت كصمت المقابر، أن يتحملوا أوزار صمتهم المتواطئ. إنه ينبغي عليهم أن يستحضروا الأمانة التي تمليها عليهم ضمائرهم باعتبارهم حاملين لمسؤولية التنوير و الصدح بالحقائق لا يخشون في ذلك لومة لائم. إنه ينبغي عليهم أن ينتهوا عن التصرف بخوف كخوف بعض المستثمرين أصحاب الرساميل، من تقلبات السوق و من ضياع حصصهم من المبيعات و الأرباح. كفاهم تصرفا بخوف كخوف بعض الإعلاميين من نقص عدد المتفرجين على برامجهم و المتابعين لحلقاتها. و ليعلم هؤلاء المثقفون الصامتون أن الإسلام ليس بضاعة يتاجر بها أو استثمارا مربحا، و هو أيضا ليس برنامجا أو منتوجا للاستهلاك الإعلامي. و المثقف لا ينبغي أن يقوم بدور بائع الكلام المباح يزوقه حسب تقلبات السوق للإغراء، و لا أن يحول وظيفته السامية إلى مجرد معلق إعلامي سلبي مرتهن لأحداث الواقع من حوله، و طامع في الشهرة و المجد و لو على حساب الضمير. و المسلمون ليسوا زبناء حتى يسعى المثقف لاستمالتهم، و لا ينبغي أن يعتبرهم مجرد جمهور تافه يبحث عن الترفيه، فيسهم في إغراقهم في مزيد من التفاهات، سعيا لتنويمهم و تمديدا لمدة نومهم الجماعي المستمر في كنف الاستبداد السياسي و الديني منذ قرون.

و إنه لا يكفي أن تعلن، أيها المثقف المحترم، موقفك من "الختان"، بسرعة الضوء، و من دون أي شرح أو تفصيل كالمعتاد لموضوع خطير و عميق، من خلال "تغريدة" واحدة يتيمة، لم يتجاوز عدد حروفها 140 حرفا على شبكة "تويتر". كما صدر ذلك عن مثقف جامعي مسلم سويسري مشهور في أنحاء العالم، غربا و شرقا، و الذي يقدم نفسه و يعتبره آخرون مجتهدا و مجددا و فيلسوفا و مصلحا

جذريا للإسلام. و هو الذي كتب أزيد من 6000 صفحة، موزعة على عشرات الكتب و المقالات بالفرنسية و غيرها. و هو الذي حاضر في أنحاء العالم بلغات عدة، خلال ربع قرن أو يزيد، في مواضيع كثيرة تهم الإسلام و المسلمين في الغرب. إلا أنه اكتفى يوم 4 أكتوبر2012، ب "تغريدة" يتيمة و نحيفة و خافتة و لا تكاد تبين، "تغريدة" يشتم منها رائحة موقفه من "الختان"، من دون أن يحمل ذلك المثقف نفسه عناء التصريح بكلمة "الختان" - حتى يكون موقفه المقتضب بينا محكما و غير متشابه - و اكتفى بالقول : **" كل شخص ينتهك حرمة جسد طفل - بموافقته أو من دونها - فإنه ينتهك براءته"**. حسنا أيها المثقف المحترم، ها انت قد اعلنت موقفك لمن بإمكانه استقبال "تغريدتك" فقط ... لكن دعني استميحك عذرا و أطلب منك أن تفصل موقفك و تبينه للجميع بما لا يدع للشك مجالا أو نصيبا، ولم لا تصدر كتابا كاملا شاملا في الموضوع ؟ ألا ترى معي سيدي المثقف و الفيلسوف أن انتهاك جسد و براءة طفل ب"الختان"، و باسم الله الأعظم، يستدعي منك أكثر من "تغريدة" على شبكة "تويتر" ؟ ما رأيك ؟

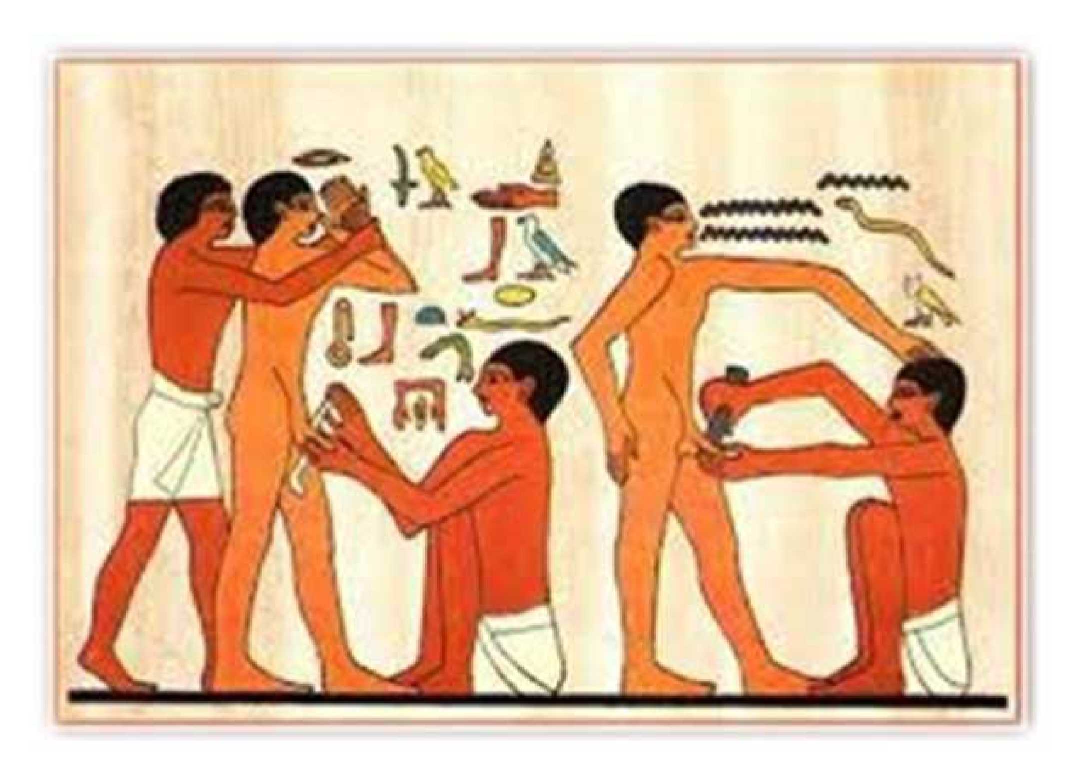
سيداتي، سادتي، أيتها الأمهات، أيها الآباء، معشر الأصدقاء،

هذا نص ما وددت مشاركتكم به في هذا اليوم العظيم، الذي يمثل بالنسبة لي محطة بارزة من محطات الكفاح المستمر، من أجل حماية الطفولة البريئة من كل انتهاك و اعتداء و عنف و من كل عنف أو إكراه باسم الله.

اسمحوا لي في خاتمة هذه الكلمة، أن أشكر المنظمين و الساهرين على نجاح هاته التظاهرة على دعوتهم لي للمشاركة في أشغالها ... و أخص بالشكر الجزيل السادة **"غي سايندين"** و **"فيكتور شيرينغ"**. كما أشكر و أشيد بالجهود النوعية لصديقي **"نيكولا موبير"** و بالوقت الذي يبدله من أجل قضيتنا، هناك في فرنسا، من خلال موقع الأنترنيت : **"Droit au Corps"**.

شكرا لكم جميعا على متابعتكم و اهتمامكم.

نماذج من تغيير هيئة بعض أعضاء الجسد عبر التاريخ



هاته النقوش و الرسوم تم العثور عليها في مقبرة "آنخ - محور" *Tombe Anmhmahor* - و هي تعود إلى حكم الأسرة الفرعونية السادسة بين 2345- و 2333- قبل الميلاد - أي قبل بعثة النبي إبراهيم، مما يبين أن الختان لم يبدأ مع "العهد الأبدي" التوراتي، بل يرجع إلى ما قبل ذلك بسنين عديدة.



تبين هاته الصور تقليدا عرفته بعض القبائل الإفريقية، و يتعلق الأمر بإطالة جمجمة رأس الفتيات بعيد ميلادهن رمزا للجمال. **من اليمين** : صورة طفلة تم شد رأسها و ربطه بقوة بواسطة ألياف حازمة. **في الوسط** : صورة لميدالية نحاسية من دولة الكونغو و هي تبرز رأسا لامرأة مستطيلة الجمجمة.
في اليسار : صورة لتمثال رأس أميرة مصرية معروض في متحف برلين بألمانيا.



تبين هاته الصور تقليدا تعرفه قبائل "كايان" بدولة بورما يصطلح عليه بتقليد "**المراة الزرافة**". و يتعلق الأمر بالإطالة الظاهرية لطول أعناق بعض النساء و هن طفلات إلى آخر حياتهن، و ذلك بوضع حلقات من نحاس متراكبة، يتم الزيادة في عددهن مع التقدم في السن، ليصل وزن الحلقات الإجمالي إلى 10 كلغ. دور هاته الحلقات يتمثل في شد العنق إلى الأعلى، و الضغط على عضلات العنق باتجاه الأسفل نحو القفص الصدري ليبدو العنق ظاهريا - مجرد خداع بصري - أكثر طولا مما هو عليه في الحقيقة. تحمل الطفلة الصغيرة في الصورة 12 حلقة في عنقها و تحمل المرأة المسنة حوالي 21 حلقة. يرجع البعض أصول ارتداء النساء لهاته الحلقات للاحتماء بها من عضات الحيوانات المفترسة كالنمور. و يرجعها البعض الآخر إلى الرغبة في التشبه بالتنين. و يفسرها البعض كعلامة من علامات الجمال في عرفهن.



انتشر في شمال الصين تقليد لف قدم الطفلات، بين 4 و 6 سنوات، في خرق من حرير لإعطاء القدم شكلا آخر، غير شكلها الطبيعي. لا يظهر من القدم بعد ذلك إلا الإصبع الكبيرة أما بقية الأصابع فإنها تنمو نحو الأسفل، فتبدو القدم و كأنها صغيرة. يعتبر بعض الصينيين القدم الصغيرة علامة من علامات الجمال المثيرة للشهوة الجنسية عندهم. أما جانبه المأساوي، فيحكى أن ذلك التشويه تسبب في مقتل العديد من النساء زمن الحروب لعدم قدرتهن على الجري هربا من العدو و نجاة من الأسر و البطش.



شعب "المورسيس" Mursis مكون من مجموعة من القبائل الرحل، متواجدة جنوب إيثيوبيا. يقدر عدد أفراد هذا الشعب اليوم ب 4000 نسمة. يعرف نساءه بحملهن لأقراص طينية في الشفاه السفلى. ابتداء من سن العشر سنوات، يتم قلع الأسنان السفلى أو القواطع. و يتم حفر الشفة السفلى و ووضع قرص خشبي صغير لتوسيع الشفة. بعد كل سنة يتم استبدال القرص بقرص أكبر منه، و هكذا دواليك، إلى أن يتم وضع قرص طيني كبير مزخرف. يحكى أن ثقب الشفة السفلى يصاحبه أيضا ثقب غشاء البكارة. يحمل النساء المعنيات القرص مصحوبا بمجموعة من أقراط الأذان التي يتم توسيعها كذلك سنة بعد أخرى. تفسر هاته التشويهات برغبة الرجال في حماية النساء من الاستغلال في أسواق النخاسة و الرقيق. يخبر البعض أن هذا التقليد يتلاشى شيئا فشيئا و أن العاملات به حاليا هن النساء المورسيسيات اللوتي ينتمين للطبقة العليا.

المؤلف في سطور

محمد اللوزي

- ولد بمدينة الدار البيضاء بالمغرب يوم 21 مارس 1978.
- متزوج و أب لثلاثة أطفال، بنتان و ولد.
- حاصل على بكالوريا العلوم الرياضية سنة 1997.
- درس الهندسة الكهربائية في كلية العلوم و التقنيات بالمحمدية (المغرب) ثم بجامعة العلوم و التكنولوجيا بمدينة ليل (فرنسا).
- عمل أستاذا بالسلك الثانوي، لمواد الهندسة الكهربائية لمدة خمس سنوات بأكاديمية ليل الفرنسية.
- أدار مقاولة صغيرة متخصصة في الأشغال الكهربائية لمدة سنتين و نصف.
- يعمل حاليا مهندسا مكلفا بدراسات الطاقة الكهربائية و محولات التوتر العالي بفرنسا.
- التحق في سن مبكرة بالعمل الإسلامي بالمغرب، و تقلد عدة مسؤوليات جمعوية، تلمذية و جامعية في صفوف "**حركة الإصلاح و التجديد المغربية**" ثم بعدها "**حركة التوحيد و الإصلاح**".
- شارك، بصفته عضوا عاملا، في إنجاح أول مشاركة في الانتخابات البرلمانية ل "**الحركة الشعبية الديموقراطية الدستورية**" التي غيرت اسمها فيما بعد لتصبح "**حزب العدالة و التنمية**".
- عشية إقامته بفرنسا، التحق ب "**اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا**" - عضو التنظيم العالمي لجمعية "**الإخوان المسلمين**" - و كلف داخلها بعدة مهام دعوية و طلابية.
- انتخب رئيسا لجمعية "**الطلبة المسلمين بفرنسا - فرع ليل**" و عضوا ب "**المركز الجهوي للأعمال الاجتماعية الجامعية و المدرسية**" بجهة الشمال.
- في سنة 2006، نال حريته الفكرية من جديد و استقال من عضوية "**اتحاد المنظمات الإسلامية**" و من كل الجمعيات العاملة في الحقل التبشيري الإخواني - بفرنسا و بالمغرب - و خط لنفسه خطا فكريا آخر.
- باحث ناقد مهتم بشؤون الدين و أنماط التدين و علاقات الترابط بين الدين و السياسة، تصورا و ممارسة.
- أصدر أول كتاب سنة 2006 بعنوان : "**شيوخ الاستهلاك**".
- أطلق موقع مدونته بالفرنسية على الأنترنيت « ***Ecrire Sans Censures !*** » سنة 2007 حيث نشر دراسات بالفرنسية عن "أبي هريرة" (2007) و عن "الختان" (2009) بالإضافة إلى عدة مقالات نقدية تناولت "أدوار الجامع" و "الإسلام السياسي" و "اللاعنف" و "الحديث النبوي"...
- يساهم حاليا في تأسيس جمعية فرنسية مناهضة للختان خصوصا الذي لا تستدعيه ضرورات علاجية قاهرة.
- يؤمن بالله و بالإنسان الراشد المحرر بالعلم و المعرفة من الطغيان و العنف و الاستبداد.



إن الإيمان بالله تعالى لا تجمعه أية صلة وصل بالختان. إذ الإيمان بالله بناء واع و إرادي و تراكمي و لامادي. و هو أيضا اختيار طوعي محرر من كل أشكال الإكراه البدني و المعنوي. إن الإيمان بالله وقيمه، لا ينتقل أبدا للأجيال الصاعدة عن طريق القطع و الحز و البتر و التشويه. الإيمان بالله تعالى ليس ترويضا حيوانيا عنفيا، كترويض البغال بالإخصاء أو كترويض الحمير بالضرب. و هو لا يترسخ في قلوب الصبية بحرمانهم من جزء حيوي من غرلاتهم، أو بضربهم على الصلاة لعشر سنين أو بسجن أجسادهن في قطع قماش داكنة لا تري إلا العينين و من وراء سياج. فالله غني عن الغرلات و السجدات الإكراهية و الأقمشة الأفغانية ... و هو ليس بحاجة لها. فهو من خلق الغرلات و صورها في أحسن صورة تماما كما صور بقية الجسد. و خصها بوظائف حيوية أساسية للتوازن النفسي و الجنسي و الجسدي: كل شيء عنده بمقدار ... سبحانه.

إن الذين يحتاجون فعلا لغرلات الاطفال، علامة على استعبادهم لأجيال قادمة، هم من نصبوا أنفسهم شركاء لله مدعين الحكم و النطق باسمه الأعظم. و مستعينين بشركاء و انداد آخرين من طبقة الأسلاف. فترك الختان، و ما قرب إليه من قول أو عمل، يكتسي من هذا المنطلق صبغة تحريرية جديدة ألخصها في كلمات : التمرد الواعي على سلطة الإقطاع، و رفض الطاعة لسلطة الكهنوت الفقهي، و الثورة السلمية في وجه الاستبداد. لأن الختان في تصورنا، هو الابن اللقيط الوحيد الذي تم إنجابه من نكاح الاستبداد بالطاعة. و هي الفكرة نفسها التي لخصتها من قبل، في تلك الفرضية التعيسة لذاك القانون الأتعس : **"حيثما وجد الختان و انتشر، فتم وجه فرعون و سحرته" !**

و انطلاقا من هاته الفرضية السياسية، فإن ترك الختان و العمل به - بالإضافة إلى كونه مسؤولية الأمهات و الآباء في الحماية الواجبة عليهم في حق أطفالهم من الإكراه و العنف و الدموية، منذ لحظات حياتهم الاولى - يصبح فكرة و سلوكا و عملا ثوريا سلميا بامتياز على حكم الاستبداد السياسي القابع فوق آلام الجميع من جهة، و على إيديولوجيات الطاعة الدينية المغذية له باستمرار، من جهة ثانية.

فترك الختان تحرير للإنسان من قبضة فرعون و من أغلال السحرة أيضا.

ISBN 978-2-95-286691-0

